الطاقة الكونية وحركة التاريخ

فرضية النبض الكلي

نحو تفسير جديد للتاريخ

أ.م.د/ محمد حسين الصافي

الكتاب: الطاقة الكونية وحركة التاريخ، فرضية النبض الكلي.

المؤلف: أ.م.د. محمد حسين الصافي.
malsafi19@gmail.com
00967 711128985

الطبعة: الأولى. صنعاء.2023م.

تنسيق: الياسمين للطباعة والإعلان–صنعاء الدائري– ت774527410

رقم الإيداع: 286/ 2023م

الناشر: مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث. فرع صنعاء. ش صنعاء، الستين الغربي. ت 715101331/779260928.



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيم

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَـاب * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْـقِ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّار﴾

[آل عمران:190-191]

الفهرس

مقدمة :

المؤرخ معني دائما بفهم وتفسير التاريخ، بدءا من سؤال ما هو التاريخ؟ وما الذي يتحكم فيه، وهل هناك اتجاه محدد لحركة التاريخ؟ وإذا كان كذلك فلماذا أخذت الأحداث اتجاها معينا؟ وبطبيعة الحال تختلف إجابة فلاسفة التاريخ حول هذه الأسئلة كل حسب نظرته وتفسيره وفهمه لقضايا الوجود والحياة. على أن التطورات العلمية الحديثة الهائلة غيرت من فهمنا ونظرتنا للكون وللإنسان، وبالتالي يفترض أن نستفيد منها ونجدد فهمنا لقضية تفسير التاريخ ومحاولة فهمه في ضوء التطورات العلمية الحديثة. خاصة علم الكون الفيزيائي الذي يعتمد على مجالات عديدة في الأبحاث الفيزيائية إذ أنه يوحد بين مجالات الفيزياء الخاصة بالأجرام الكونية عظيمة الضخامة في الكون وبين فيزياء أصغر الجسيمات الأولية في الكون. ولكن هل فهمنا الصحيح والحديث للكون الفيزيائي سوف يرشدنا إلى الفهم الصحيح لحركة التاريخ؟ هل فهم الطبيعة سوف يساعدنا على فهم التاريخ؟

من أهم ما وصل إليه العلم الحديث أن المادة ما هي إلا شكل من أشكال الطاقة[1]، والطاقة التي هي الكون نفسه لها أشكال متعددة الظهور[2]. حيث أوضحت نظرية النسبية لأينشتاين أن المادة والطاقة هما صورتان لشيء واحد، وبينت تكافؤ المادة والطاقة، وهو الاكتشاف الذي اكتشفه أينشتاين[3] (ت1955م) عام 1905 وكتبه

---

(1) سكوت، أندرية: جوهر الطبيعة، ترجمة: هاشم احمد محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة1988م، ص47؛ بشارة، جواد: الكون الحي بين الفيزياء والميتافيزياء، الطبعة الالكترونية الأولى، ص150.

(2) شريف، أمل: شفرة الكون، يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب، القاهرة (د.ت)، ص 25.

(3) انيشتاين ، ألبرت (1879-1955م) : عالم فيزياء أمريكي من أصل يهودي ألماني ، عرف بنظرية النسبية المشهورة ، ولد بألمانيا ودرس بها وبسويسرا ، ووضع أسس النظرية النسبية الخاصة، عين أستاذا في جامعة زيورخ وبراغ ، أكتسب شهرة عالمية لبحوثه القيمة ، نال جائزة نوبل في الفيزياء 1921 لبحوثه على الظاهرة

في النظرية النسبية الخاصة، ويعبر عن تكافؤ الطاقة والمادة بمعادلته الشهيرة :الطاقة = الكتلة في مربع سرعة الضوء، هذه المعادلة التي نتج عنها اختراع القنبلة النووية.

كذلك تعرف الطاقة أنها القوة المحركة للمادة والفاعلة والمؤثرة فيها، وتعرف على أنها قدرة الجسم أو نظام فيزيائي على انجاز شغل او التغلب على عائق[1]. والكون بما هو طاقة مكون على شكل موجات والفرق بين هذه الموجات هو التردد Frequency والسرعة Velocity.[2] كذلك تتعدد اشكال وجود الطاقة، فتكون حركة أو حرارة او كهرباء او كيمياء او اشعة او موجات[3]. هكذا اكتشف العلماء ان الوحدات الأولى التي يتكون منها الكون المادي ليست مادية. أي اننا نعيش في كون مادي يتكون من كيانات ليست مادية تتحكم فيه اشكال متعددة من الطاقة مثل الكهربية والمغناطيسية والجاذبية.[4] وباكتشاف مبدأ اختزان الطاقة صار من الواضح ان مفهوم الطاقة يمكن ان ينسحب على كل فروع الفيزياء والعلوم الطبيعية[5]. أي على كل مناحي الحياة. حتى فهم العلماء أن الحياة نفسها تعد أحد نتائج تحولات الطاقة[6].

الكهروضوئية ورحل إلى أمريكا ، أول من افترض وجود الضوء على هيئة كمات صغيرة تسمى (فوتونات) تنطلق على دفعات، ووضع العلاقة بين الكتلة والطاقة في النظرية النسبية الخاصة ، والعلاقة بين التجاذب وعزم القصور في النظرية النسبية العامة على أسس رياضية بحتة وهي تحدد العلاقة بين الجاذبية وبين الفراغ ذي البعد الزمني الرابع.(للمزيد انظر: هوفمان، بانش: آينشتين، ترجمة نبيل صلاح الدين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1998م، ص 13 وما بعدها).

(1) بدوي، عبدالرحمن: موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1984، ج2ص57.

(2) رشدي، هند: علم الطاقة الروحية، دار مشارق، القاهرة 2009م، ص3.

(3) محمد، بدوي عبدالفتاح: فلسفة العلوم، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة2000، ص14؛ ذياب، نصري: جغرافية الطاقة، الجنادرية للنشر والتوزيع، عمان 2011، ص7.

(4) محمد: فلسفة العلوم،7،17،16

(5) الحفني، عبدالمنعم: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي ط3، القاهرة 2000، ص489.

(6) عبدالله، علي محمد: الطاقة المتجددة، الناشر: المنهل، (د م)، 2015، ص 20.

وقد اختلف العلماء والفلاسفة والمؤرخون حول علاقة التاريخ الإنساني بالطبيعة المحيطة به بين من يقول بالهيمنة المطلقة لعالم الطبيعة والمادة على الانسان، ومن يعلي من شأن الإنسان كمخلوق مستقل بذاته يتمتع بالحرية.

هذا البحث الصغير هو محاولة استقراء علاقة العالم الطبيعي بحسب تفسير أحدث النظريات الفيزيائية له وحركة التاريخ.

على أنه لابد من التذكير بالنظرة المختلفة للطبيعة بين المؤمنين بالخالق الأعظم وبين الملحدين المنكرين. فالطبيعة عند المؤمنين هي تجلي قدرة الله عز وجل في صنعته وحكمته. ولذلك فهي الكتاب المفتوح لكل متأمل. أما الملحدون فعندهم الطبيعة لا خالق لها تنظمت مصادفة وهي سرمدية أزلية يخضع الإنسان لها خضوعاً كلياً لأنه من صنعها خاضع لقوانينها الصارمة ولا قدرة له على تغييرها[(1)].

وما بين هاتين النظرتين يسعى هذا البحث إلى استقراء علاقة العالم الطبيعي بحركة التاريخ والإنسان استقراءً علمياً. والوصول إلى تفسير لحركة التاريخ على ضوء أحدث النظريات الفيزيائية المفسرة للكون. مؤمنين إيمانا مطلقا أن الطبيعة ما هي إلا يد القدرة الإلهية الحكيمة التي لم تخلق شيئا سدى، وان الانسان خليفة في الأرض له حرية التصرف فيها والذي سوف يسأل عنه.

---

(1) عن فلسفة المصادفة ينظر: قاسم، محمود: المنطق الحديث ومناهج البحث، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة1967م، ص91؛ الكحلاني، حسين: فلسفة التقدم، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية 1997م، ص77؛ كوليد ، ارفيلد: المدخل إلى الفلسفة، نقله للعربية أبو العلا عفيفي، (د ن) القاهرة 1965م،ص190؛ زيدان، محمود فهمي: الاستقراء والمنهج العلمي، (د ن)، القاهرة 1977م،ص170؛ محمد، علي عبدالمعطي: المنطق ومناهج البحث العلمي في العلوم الرياضية والطبيعية، دار الجامعات المصرية، القاهرة 1977م،ص359.

ونبدأ بهذا التساؤل: هل تخضع أو ترتبط حركة التاريخ بنظام الطبيعة الكلي؟ ويمكن تقديم السؤال كالتالي: هل نظام الطبيعة المادية يتحكم بحركة التاريخ؟ أو هل هناك علاقة تبادلية بين قوانين التاريخ وقوانين الطبيعة المادية؟ وبطبيعة الحال ليس المقصود هنا تأثير عامل البيئة والطبيعة الذي أشار إليه ابن خلدون[1] (ت808هـ) ومونتسكيو[2] (ت1755م) Montesyuieu فقط. مثل تأثير طبيعة الأرض والمناخ على الإنسان، أو موجات الجفاف غير المنتظمة المتسببة في الهجرات الكبرى.

ولكن المقصود خضوع التاريخ أو ارتباطه بنظام الطبيعة الناموسي العام ابتداء من قوانين الجينات الوراثية وانتهاء بحركة الأجرام السماوية كقانون كلي عام ذو طبيعة دقيقة محددة. وبالتالي فإن السؤال الذي سنقف عنده هو **هل يوجد قانون كلي عام للكون والإنسان ذو طبيعة دقيقة محددة؟**

ويمكن تحويل سؤال ما هو التاريخ إلى ما هو الوجود الحاضر؟ حتى نتمكن من فهم ما هو التاريخ والاجابة على السؤال. فإذا كان الوجود الحاضر ما هو إلا سياقات من الطاقة متعددة الاشكال والظهور والتأثير المتبادل فإن التاريخ أيضا ما هو إلا سياقات من الطاقة بمختلف اشكالها المتعددة والتي ظهرت في فترات زمنية ماضية. هكذا ببساطة. وهذا هو

---

(1) ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد أبو زيد ، الحضرمي الأشبيلي (732-808هـ): العلامة والمؤرخ . ولد ونشأ في تونس ورحل إلى غرناطة و مصر. ولي قضاء المالكية. ثم تفرغ للتأليف، وأشهر كتبه: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر.(ابن العماد، عبدالحي الدمشقي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت ب د،ج7ص75؛ خير الدين الزركلي: الأعلام،106/4).

(2) مونتسيكو ، البارون شارل دي مونتسكيو (1689-1755م) فيلسوف فرنسي ، من مؤلفاته السياسية الشهيرة كتاب: روح القوانين، الذي يبين فيه أشكال الحكومات المختلفة كما شرح مبدأ الفصل بين السلطات ودافع عنه مقرراً ان السلطة بطبيعتها تغري بالانحراف ، ونادي كذلك بالديمقراطية النيابية لأن الشعب عنده غير قادر على ممارسة التشريع بنفسه .(صبحي، احمد محمود: في فلسفة التاريخ، الإسكندرية 2004،ص91 حاشية2).

سؤال هذا المبحث الصغير، **وهو ما العلاقة بين الكون الذي هو طاقة متعددة الاشكال والتأثير وبين حركة التاريخ؟**

تقول إحدى الباحثات عن اكتشاف إسحاق نيوتن[1]: [2] "لقد أيقن الجميع أن نيوتن اكتشف حقيقة هذا الكون وهو أنه مشكل على هيئة آلة ميكانيكية ضخمة مغلقة على ذاتها، من مادة وطاقة تسير تلقائياً بواسطة عللها الداخلية وتبعاً لقوانينها الخاصة في مسار صارم، تفضي كل مرحلة من مراحلها إلى المرحلة التالية، أي يؤذن حاضرها بمستقبلها".

أما النظرية النسبية لأينشتاين والتي عدلت من نظرية نيوتن- ولا تلغيها- فهي تعرف الكون أنه مكان محدب ذو شكل كروي يتواجد به عالم من الأحداث المتحركة ذو العلاقات النسبية زمانياً ومكانياً وهو كون يتمدد في متناه لا حدودي[3] .

وواكبت نظرية النسبية نظرية الكوانتم حتى أصبح يقال لا شيء في الكون خارج سيطرة الترادفات الكوانتمية، حيث تقدم النظرية تفسير سلوك الذرة ومكوناتها الأساسية مثل

---

(1) السير إسحاق نيوتن، (1643 – 1727م) فيزيائي انجليزي عين أستاذا بجامعة كمبردج من أعظم علماء القرن 18 في الفيزياء والرياضيات، أستطاع خلال تجاربه على الضوء تحليل الضوء العادي إلى ألوان الطيف، ووضع قانون الجاذبية العامة، وقوانين الحركة اختير لمنصب رئيس الجمعية العلمية الملكية بانجلترا تقديراً لأعماله (العاني، خالد: إسحاق نيوتن، ب د ،ص1-5؛ مجموعة من المؤلفين: الموسوعة العربية الميسرة ، القاهرة 1965، ص1872).

(2) الخولي، يمنى طريف: فلسفة العلم في القرن العشرين، عالم المعرفة 264، الكويت، ديسمبر 2000، ص84. حتى عندما تدعي يمنى الخولي أن نظريات الكوانتم والنسبية أسقطت مبدأ الحتمية والعلية للنظرة العلمية للكون (ص185) فإن هذه النظريات نفسها تقوم على قوانين حتمية مثل ثبات سرعة الضوء والقوانين الثابتة للرياضيات وثابت بلانك، وهو ما ينفي فكرة العبثية عن الكون (انظر: وصفي، رؤوف: الكون والثقوب السوداء، عالم المعرفة 17، الكويت 1979، ص36)، ويمنى الخولي تناقض نفسها عندما تشير إلى أن أينشتاين نفسه كان يؤمن بالحتمية العلمية (ص336) والتفسير الذي قدمته يمنى الخولي هو من فلسفة المدرسة الماركسية (ينظر: محمد، يحيى: الداروينية ، بيروت 1979، ص330 وهامش 32).

(3) الخولي: فلسفة العلم، 204-206.

الالكترونات والبروتونات والنيوترونات والكواركات. وتستند النظرية الى مبدأ أن الطاقة تأتي على شكل حزم منفصلة تسمى كمات ولا يمكن ان تأتي على شكل سيال متصل. كما أنها اثبتت مبدأ اللا يقين او عدم التحديد. إذ لا يمكن تحديد موقع الجسيم وسرعته في نفس الوقت. وقد أزعج عدم اليقين البرت اينشتاين فأعلن رفضه له(1). لكن بشكل عام أصبحت نظرية الكوانتم تستطيع تفسير الكثير من عالم الذرة وما دون الذرة. بينما كانت نظرية النسبية استطاعت تفسير الكثير من الظواهر الفيزيائية الكبرى. وإذا كانت نظرية النسبية اثبتت تدخل الذات العارفة كمتغير في معادلة فهم الطبيعة والأحداث(2). فإن من غرائب نظرية الكم انها اكدت تأثير الوعي على سلوك الجسيمات والالكترون. أي ان الواقع هو من صنع وعينا وعقلنا(3). والسؤال هو لماذا تختلف القوانين الحاكمة للعالم الأصغر عن القوانين الحاكمة للعالم الأكبر؟ وهل تخضع حركة التاريخ للتراوحات الكمومية (الكوانتمية) أو للنظرية النسبية، أو لا علاقة للتاريخ بهذه النظريات المفسرة للكون؟

وأخيراً أحدث نظرية في تفسير الكون نظرية الأوتار الفائقة، التي استطاعت نظريا ان تجمع بين نظرية النسبية ونظرية الكوانتم، وعرفت أن الكون مصنوع من أوتار دقيقة تكون فيه أنساق الاهتزاز الرنينية هي الأصل المجهري(4)، فما علاقتها بقوانين حركة التاريخ؟

---

(1) هوفمان: آينشتين،202، 203؛ غرين، برايان: الكون الأنيق، ترجمة فتح الله الشيخ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت2005، ص 128.

(2) ديفيز، بول. س: المفهوم الحديث للمكان والزمان، ترجمة السيد عطا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1996، ص 5 -9.

(3) سلمان، عماد سامي: لعبة الوعي، دار الفارابي، بيروت 2016م، ص 50.

(4) غرين: الكون الأنيق، 231.

وهل الإنسان وحركة التاريخ ضمن قوانين عالم الأحداث المتحركة ذو العلاقات النسبية؟ أم التاريخ الإنساني خارج منظومة العلاقات هذه؟ ولنسأل بطريقة أخرى: هل توجد علاقة بين قوانين نيوتن أو قوانين النظرية النسبية أو نظرية الكوانتم والأوتار الفائقة وحركة التاريخ؟

يقول أينشتاين[1] : " إن الله لا يلعب النرد" كناية عن صرامة القوانين التي تحكم العالم. وكان أينشتاين قد أدخل الزمن كبعد رابع إلى عالم الفيزياء والطبيعة بعد أن كان العلماء يعتقدون أن هذا العالم مجرد ثلاثة أبعاد، الطول والعرض والارتفاع. فأصبح العالم هو الطول والعرض والارتفاع نسبة إلى الزمن، بتبسيط شديد. فماذا يحدث لو فعلنا العكس، أدخلنا إلى حركة التاريخ – الذي هو حركة الزمن – الأبعاد الثلاثة أي أضفنا العامل الفيزيائي ذو العلاقات القانونية المحددة. هذه هي فرضية البعد الفيزيائي لحركة التاريخ. ومن الناحية الفلسفية فالموضوع مختلف فيه بين مناصر لوجود قوانين واحدة للطبيعة والتاريخ ومن ينكر ذلك على أساس الطبيعة الإنسانية المختلفة. لكن هل درس الموضوع دراسة استقرائية علمية، لإثبات أو نفي الفرضيتين؟

عد اكتشاف نيوتن لقانون الجاذبية بأنه التوحيد الأول في تاريخ العلم والذي تجسد بتوحيد السماء والأرض. إن قوة الجذب نفسها التي تعمل بين جسمين على الأرض، تربط مصير البشر بالنجوم. وأصبح بالإمكان بعد نيوتن حساب حركة المجموعة الشمسية برمتها

---

(1) سكوت، أندرية: جوهر الطبيعة، ترجمة: هاشم احمد محمد، القاهرة1988م، ص69. كان أينشتاين مثل نيوتن وكل المفكرين العلميين، لديه نظرة عميقة موحدة للكون، ونظرية النسبية دالة على تبصر وإدراك عميقين لعمليات الطبيعة نفسها، وبشكل خاص فهم العلاقات بين الإنسان والمعرفة والطبيعة، فالفيزياء ليست أحداثاً ولكنها مشاهدات والنسبية هي فهم العالم لا كأحداث بل كعلاقات (برونو فسكي، ج: ارتقاء الإنسان، ترجمة موفق شخاشيرو، عالم المعرفة 39، الكويت 1981، ص196).

وبدقة تكاد تبلغ حد الكمال[1]. كذلك استطاع اينشتاين ان يتحسس مبدأ التوحيد وأن يتفهم التناظر العميق الذي كان يضم كل مكونات الطبيعة المتباينة كالزمان والمكان والمادة والطاقة.[2] ويمكن ادراج النظرية النسبية في قائمة محاولات التوحيد التي بذلها ولا يزال يبذلها الفكر البشري. كانت استراتيجية اينشتاين مشابهة لاستراتيجيتي نيوتن وماكسويل. الكشف عن المبادئ الفيزيائية القادرة على دمج مفهومين متباينين في ذات الإطار الكوني[3].

اولا : تساؤلات وشواهد علمية :

نشاهد اليوم عصر ثورة علوم الفيزيوكيمياء وعلوم الأحياء، ووصل الإنسان إلى مستوى متقدم جداً في هذه العلوم، فهل يمكن لنا أن نتجاهل كل هذه الثورة العلمية أثناء دراستنا للتاريخ؟ وهل يمكن للفعل الإنساني أن يكون بمنأى عن تأثير هذه المنظومة الكونية المتكاملة بقوانينها الفيزيائية والكيميائية والإحيائية التي يتواجد بداخلها الإنسان؟

أ) من علم البيولوجيا :

يشير علم البيولوجيا (الأحياء) كما يذكر الباحثون إلى أن المفهوم المتفق عليه اليوم لطبيعة الكائنات الحية -بما فيها الإنسان- هو سيادة قوانين الفيزياء والكيمياء على جميع وظائفها التي تتم على المستوى الجزيئي، وعلى معظم وظائفها التي تتم على مستوى

(1) كاكو، ميشو وتيرنر، جينيفر: ما بعد اينشتاين، البحث العالمي عن نظرية للكون، ترجمة: فايز فوق العادة، اكاديميا انترناشيونال، بيروت 1991م، ص34.

(2) كاكو، ميشو وتيرنر: ما بعد اينشتاين، 43.

(3) كاكو، ميشو وتيرنر: ما بعد اينشتاين، 48. في الثلاثة العقود الأخيرة من عمر اينشتاين ركز جهوده في محاولة الوصول الى نظرية المجال الموحد التي تجمع بين قوى الجاذبية والضوء، معتقدا ان تناظرا كونيا يجمع كل القوى الكونية. وربما فشله كان بسبب تركيزه على الرياضيات واهمال جانب التصورات الفيزيائية وهي القدرة التي اوصلته الى نظرية النسبية. (كاكو، ميشو وتيرنر: ما بعد اينشتاين،50)

الخلايا. كما أن الكائنات الحية تتميز عن المادة الجامدة في كونها أنظمة رئاسية ذات كيان له كثير من الصفات الانبثاقية، والأهم من ذلك أن كل أنشطتها تتم تنفيذاً لبرامج جينية[1].

إضافة إلى أن مبدأ الانتخاب الطبيعي الذي تقوم عليه نظرية التطور يستند إلى تأثير الوسط الفيزيائي والإحيائي على الكائن الحي[2].

أما بالنسبة للسلسلة الغذائية لكل الكائنات الحية -من ضمنها الإنسان- تقوم على نظام الحلقات المترابطة التي أول هذه الحلقات هي النباتات القادرة على بناء المادة الغذائية من مكونات غير عضوية وهي عملية البناء الضوئي. وهذه النباتات هي حطام الحيوانات آكلات الأعشاب التي تمثل ثاني حلقات السلسلة، والتي هي بدورها الطعام الرئيسي لآكلات اللحوم التي تمثل الحلقة الثالثة، أما الحلقة الرابعة والأخيرة في السلسلة الغذائية فتمثلها الفطريات والميكروبات وفي مقدمتها البكتريا، التي تقوم بتحليل أجسام مكونات الحلقات الثلاث لتحصل على عناصر غذائها.

وواضح من هذا أن مكونات الحلقة الأولى هي الوحيدة التي لا تعتمد على أجسام غيرها من الكائنات كمصدر لغذائها. بل على العكس هي التي تصنع الطعام لكل كائنات الحلقات التي تعلوها[3].

وبهذا فإن الإنسان وكل الكائنات الحية تعيش وتعتمد بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى على المنظومة الضوئية للكون.

---

(1) ماير، ارنست، هذا هو علم البيولوجية، ترجمة عفيفي محمود عفيفي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 277، يناير 2002، ص38.

(2) ماير: ارنست: هذا هو علم البيولوجية، 234.

(3) ماير، ارنست: هذا هو علم البيولوجية ،242، 243.

وقبل اختراع الآلة كان الإنسان محكوما تماماً بمستوى تواجده ضمن هذه المنظومة الغذائية، ويخضع لقوانينها وتحكمها المختلف. كما أن اختراع الآلة أو إنتاج الغذاء آلياً خفف من هذه السيطرة ولكنه لا يلغيها.

ب) من علم السلوك الإنساني:

بالنسبة لعلم السلوك الإنساني تشير دراساته أن هناك عاملان أساسيان يحددان السلوك الإنساني هما الجينات الوراثية والبيئة، بمفهومها الشامل الاجتماعي الطبيعي[(1)].

وللأسف فإن هذين العاملين -الوراثة والبيئة بمفهومها الشامل- مغيبان إلى حد ما في دراساتنا للتاريخ.

وعلى سبيل المثال كشف أحد العلماء الهولنديين أن بعض السلوك الوراثي ناجم عن ارتباط يحدث في الموصلات الكهربائية بين خلية وأخرى نتيجة لوجود مورثة جينية معينة. فهل كان هتلر[(2)](ت1945م) Adolf Hitler وموسوليني[(3)] (ت1945م) Benito

(1) للمزيد ينظر: سكينر، ب.ف: تكنولوجيا السلوك الإنساني ، ترجمة عبدالقادر يوسف ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 32 ، الكويت أغسطس 1980؛ انظر أيضا: ريدلي، مات: الجينوم، السيرة الذاتية للجنس البشري ، ترجمة مصطفى إبراهيم فهمي ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، لعدد 275، الكويت نوفمبر 2001، ص346 وما بعدها؛ سايمنتن، دين كيث: العبقرية والإبداع والقيادة، دراسات في القياس التاريخي، ترجمة شاكر عبد الحميد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 167، أغسطس ص49 وما بعدها؛ ماير، أرنست: هذا هو علم البيولوجية ،228، 229.

(2) هتلر ، أدولف : (1889- 1945م) : زعيم سياسي ألماني ، ولد في النمسا زعيم الحزب الوطني الاشتراكي ، أي النازي حاول القيام بعصيان مسلح ي ميونخ 1922م أنتخب مستشارا 1933م ثم رئيس الدولة المطلق1934. أقام نظاماً ديكتاتورياً بوليسياً. أشعل الحرب العالمية الثانية فاحتل ألبانيا (1936م) والنمسا وتشيكوسلوفاكيا 1938 وبولينا 1939م ثم هزم وانتحر في برلين 1945م.(Nicholls, D., Adolf Hitler: A Biographical Companion, Oxford 2000).

(3) موسليني، بنيتو: (1883- 1945) : زعيم إيطالي، مؤسس الفاشية ، عمل معلما، ثم شارك في الحرب العامية الأولى (1915 . 1917م) وأصيب بجرح ، وبعد انتهاء الحرب نظم أتباعه في حزب واستولى على السلطة تميز حكمه بالدكتاتورية ،و انحاز إلى هتلر وخاض معه الحرب العالمية الثانية في محاولة لإعادة الإمبراطورية الرومانية لكنه هزم واعدم .(Bradford, J., ,International Encyclopedia of Military History, London 2006,p917.)

Mussolini على سبيل المثال وكافة طغاة العالم أسرى هذه المورثات الجينية[1]. وما هو دور العوامل الوراثية في الحدث التاريخي؟

والحقيقة أن ما يقلق بعض العلماء في هذا الموضوع أن فلسفة الهندسة الوراثية تقوم على مبدأ إمكانية التحكم بالأفعال المستقبلية نتيجة التحكم الجراحي في شفرات الجينات الوراثية، مثل استنساخ الإنسان الذكي "وبالتالي إمكانية برمجة الجنس البشري وفق تعميمات موضوعة سلفاً"[2].

جـ) من دراسات القياس التاريخي:

تمكنت الأكاديمية الأمريكية من استحداث منهج علمي جديد أسموه: علم القياس التاريخي، وهو مصطلح استخدمه لأول مرة فردريك وودز[3] **Frederic Wood Jones** (ت1954م) عام 1911م ثم طوره بعد ذلك العلماء ومن أبرزهم دين كيث سايمنتن[4] Dean Keith Simonton الذي استخدمه في كتابه العبقرية والقيادة والإبداع.

ويعرف علم القياس التاريخي بالتالي: "إنه العلم المكرس لاكتشاف المبادئ الناموسية العامة من خلال تطبيق الأساليب الكمية على قطاعات العينات التاريخية واستخلاص الخصائص المنتظمة من بين ذلك الكم الهائل من الأسماء والتواريخ والأماكن. إن الهدف

---

(1) لقمان، فاروق: البحث عن الغضب، صحيفة الأيام، العدد 3292 ، 2 أبريل 2001م، ص16.

(2) بقصمي، ناهدة: الهندسة الوراثية والأخلاق، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 174، الكويت يونيو 1993، ص17.

(3) فيلسوف انجليزي وعالم في الانسانيات، ولد عام 1879م. للمزيد انظر: ويكيبيديا.

(4) أستاذ علم نفس أمريكي معاصر، درس في هارفرد وعمل أستاذا في جامعة ديفيس، له ما يقرب من 340 بحث.(Wikibedia, Dean Keith Simonton).

الأساسي للقياس التاريخي هو التعميم الموضوعي واختزال ذلك العدد الكبير المحدد من الحقائق التاريخية إلى مجموعة أصغر من البيانات المجردة الخاصة بالكيفية التي تتمكن من خلالها فئة خاصة من الأفراد في إعادة تنظيم اتجاه التاريخ الإنساني"[1].

ويشير سايمنتن إلى أن هذا المنهج يختلف عن كل من الدراسات النفسية ودراسات الإحصاءات التاريخية ودراسات التاريخ الاقتصادي لأنه صمم لاستخلاص قوانين التاريخ.

أشارت الدراسات الحديثة في هذا المنهج حول الاضطرابات السياسية الداخلية إلى ارتباطها كشرط أساسي بانفجار سكاني يسبق الحدث بحوالي 25 سنة مع زيادة أو نقصان أربع سنوات، وعامل آخر يؤثر على توقيت العنف السياسي هو عامل حرارة الجو. فالاضطرابات الداخلية لها صلة وثيقة بالأشهر الحارة من السنة أو باقتراب الأرض من الشمس. هذا إضافة إلى العوامل الأخرى التي تسبب الاضطرابات السياسية والثورات[2].

وكقراءة أولية من هذه الشواهد فإن قوانين الفيزياء والطبيعة تتدخل على مستوى الجزيء والخلية وعلى مستوى الجينات الوراثية والسلوك العام، وعلى مستوى موقع الأرض من الشمس وتأثيره في توقيت الاضطرابات السياسية، وعلى مستوى التكاثر السكاني، الخاضع بدوره لتأثر العوامل الطبيعية.

---

(1) سايمنتن، دين كيث: العبقرية والإبداع والقيادة، ترجمة شاكر عبدالحميد، عالم المعرفة، العدد 176، الكويت أغسطس 1993،ص47.

(2) سايمنتن: العبقرية والإبداع والقيادة ،256، 285.

ثانيا : المنظومات الدورية للكون والإنسان والتاريخ:

يستطيع الإنسان أن يلاحظ إيقاعات أنظمة دورية منتظمة وشبه منتظمة وغير منتظمة، تشمل الكون والإنسان والتاريخ. وهذا لا شك يعد تناظر عجيب بين الكون والإنسان والتاريخ.

أ) المنظومات الدورية في الكون:

تبدو المنظومات الدورية في العالم الطبيعي المحيط بنا أكثر وضوحاً. فبالنسبة لعالم الأحياء، فإن الدورة السنوية تتحكم فيه كليةً فعلى سبيل المثال الطيور في نمو الريش، ووضع البيض، والهجرة. وفي النبات في البرعمة والازدهار، والسبات وفي الثدييات تغير لون الفراء، والبيات الشتوي، والتكاثر[1].

والمنظومات الدورية الأبرز للمشاهد هي في الفلك، مثل دورات الشمس والقمر، اللذان يصنعان اليوم والشهر والسنة.

ولكن أيضاً توجد دورات منتظمة غير سنوية مؤثرة مثل حلقة التلف الشمسي الذي تحدث بانتظام، ولها تأثيرات خطيرة مثل التأثير على الطبقات العليا من الغلاف الغازي للأرض، كما تؤثر على الاتصالات اللاسلكية، وهذه الانفجارات الشمسية المنتظمة تبلغ أقصى عدد لها كل أحد عشر عاماً تقريباً.

ليس ذلك فقط، ولكن القمر أيضاً يمارس دورة تأثير جاذبي على الأرض مدتها 18.5 سنة نتيجة طبيعة مداره.

على أن الأبحاث العلمية الحديثة أثبتت أن ليس كل حركة الفلك ذات دورة منتظمة. حيث اكتشف أن الانحرافات في معدل سرعة دوران الأرض حول نفسها سنوية. كما أن

---

(1) ، فيبس، إي. دابليو. جي: زمان الجسم، كتاب فكرة الإنسان عبر التاريخ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 159، مارس 1992، ص150 وما بعدها.

هناك انحرافات متعددة غير منتظمة. أضف إلى ذلك أن حركة الأرض حول محورها ليست ذات طبيعة منضبطة، أو قد يكون عرضة لعدد من الانحرافات المنتظمة وغير المنتظمة الراجعة إلى مؤثرات متعلقة بالمد والجزر تارة وإلى مؤثرات ديناميكية تارة أخرى، وهذه المؤثرات تسبب انحرافات طويلة وقصيرة المدى، كما أن الوقت النجمي المرصود والذي تحدده ذروة أي نجم معين، ليس منتظماً بصورة مطلقة(1).

ب) المنظومات الدورية في الإنسان:

منذ القرن التاسع عشر، أثبت بعض الباحثين وجود إيقاعات يومية لدرجة حرارة الجسم، ثم توالت الاكتشافات، حيث تبين أيضاً أن إفرازات البول تسير حسب نموذج يومي تقريباً. وكذلك أيضاً اكتشفت إيقاعات عديدة للسؤال والهرمونات الموجودة في الجسم. بل إن الكثير من الأحداث الحاسمة في حياتنا – مثل الولادة الطبيعية والإصابات والنوبات القلبية– توضح أنها تبلغ ذروتها في الساعات المبكرة من الصباح. وأسرع إيقاعين وأشدهما وضوحاً في أجسامنا هما نبض القلب والتنفس(2).

ومن الإيقاعات البطيئة في أجسامنا دورة الحيض الشهرية في الأنثى والتي مدتها في المتوسط 28 يوماً للاكتمال، فهي مماثلة لطول الشهر القمري 28,4 يوم. بل توجد أيضاً دورة مماثلة في الذكور أشد رهافة من حيث التغيرات الهرمونية والمزاجية.

وفي العلاقة بين حركة القمر والإنسان، وجد أن استرداد الإنسان لعافيته بعد إجراء العمليات يبدو أنه يتأثر بأطوار القمر، حيث وجد أن حدوث نزيف عقب عمليات الحلق أكثر بحوالي 82٪ خلال التربيع الثاني للقمر في فلوريدا. في حين أن الشفاء من كسور رأس عظمة الفخذ يتأثر في أيرلندا بتغير وجه القمر.

---

(1) نوكس، ريتشارد: الأرض السابحة في الفضاء، كتاب فكرة الزمان عبر التاريخ، ا المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 159، مارس 1992، 71، 72.

(2) فيبس، إي. دابليو: زمان الجسم، كتاب فكرة الإنسان عبر التاريخ، 146 وما بعدها.

وبالتأكيد إذا تعمقت أبحاثنا في هذا المجال بشكل أكبر سنجد المزيد من العلاقة الدورية التي تربط الإنسان بالعالم الطبيعي المحيط به، بل تشير بعض الإحصاءات إلى وجود إيقاعات منتظمة حتى للمواليد والوفيات[1].

ج) المنظومات الدورية في التاريخ:

المنظومات الدورية في الإنسان والكون متفق عليها عند العلماء. أما المنظومات الدورية في التاريخ، فقد اختلف فيها المؤرخون والفلاسفة. ومن أبرز من قال بالحركة الدورية والتعاقب الدوري للحضارات تسو ين الصيني[2] وابن خلدون (ت808هـ)[3] وفيكو[4] (ت1744م) Vico وشبنغلر Spengler[5] (ت1936) وتوينبي[6] (ت1973م) Toynbee وسار كار الهندي[7] (ت1990م).

---

(1) فيبس، إي. دابليو. جي: زمان الجسم، 146-152.

(2) فيلسوف صيني ظهر في القرن الثالث قبل الميلاد صاغ نظرة دورية للتاريخ مستمدة من تكرار الدورات في مسار الطبيعة. (ويدجيري، البان ج: المذاهب الكبرى في التاريخ، ترجمة ذوقان قرقوط، دار القلم، بيروت 1979م، ص14).

(3) ابن خلدون عبدالرحمن بن محمد ابوزيد (732-808هـ): الفقيه والأصولي والمؤرخ ولد بتونس من أسرة حضرمية اشتهر بالعلم فشغل وظائف حكومية وعلمية في تونس ومصر، وزار العديد من البلدان والحكام، اعترف بفضله العلماء الغربيون المحدثون.من أشهر مؤلفاته كتاب ديوان العبر وكتاب المبتدأ والخبر، والمقدمة (ابن العماد، عبدالحي الدمشقي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت ب د، ج7ص75؛ الزركلي: الأعلام،330/3).

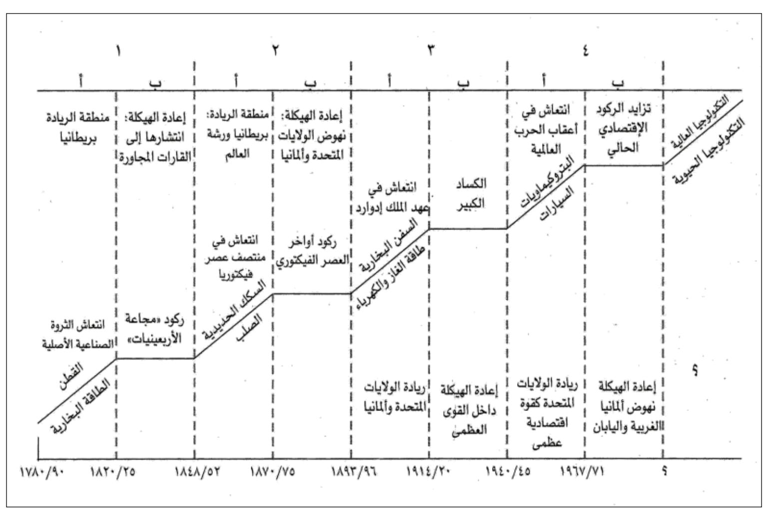
(4) فيكو، جيوفاني : فيلسوف ايطالي ولد عام1668م في نابولي، عما أستاذا للبلاغة واللغة، له العديد من المؤلفات منها العلم الجديد في الطبيعة المشتركة للأمم (انظر: احمد صبحي: فلسفة التاريخ،159حاشية رقم1).

(5) اسوالد شبنغلر: مؤرخ وكمفكر ألماني، عاش حياة في غاية من العزلة فترة طويلة من حياته، أشهر كتبة تهور الحضارة الغربية، والذي سبب ضجة كبير في أوروبا آنذاك. (عبد الرحمن بدوي : اشبنجلر، بيروت 1982 ، ص3 وما بعدها).

(6) ارنولد توينبي: مؤرخ انجليزي ولد عام1889 له العديد من المؤلفات منها تاريخ الحضارة الهلينية ومحاكمة الحضارة وغيرها ، لكن أهمها كتابه : دراسة للتاريخ.(رأفت الشيخ: تفسير مسار التاريخ،193 وما بعدها).

(7) براهات رانجان ساركار: فيلسوف ويوغي ومربي روحاني هندي، ولد عام 1922 وتوفي عام 1990م. صاحب نظرية قانون الدورات الاجتماعية. (Ghista,G.,Shrii Prabat Ranjan Sakar, Author House, Bloomington,2011,pp1ff)

ولكن أحدث الاكتشافات الدورية لحركة التاريخ هو ما توصل إليه العالم الروسي كوندراتيف[1](ت 1938) Kondratieff والذي كشف أن التاريخ الاقتصادي للإنسان يسير ضمن دورات منتظمة من الانتعاش والركود الاقتصادي، مدتها ثلاثون عامـًا تقريبـًا. (الشكل رقم واحد)[2].



الشكل رقم 1

ثم واصل باحثون آخرون عمله فتوصلوا إلى دورات تاريخية أطول تسمى الدورات اللوجستية للنشاط الاقتصادي أيضا، مدتها تقريبا ثلاثمائة سنة في حركة منتظمة بين الركود والازدهار. (الشكل رقم 2).[3]

---

(1) كوندراتيف : اقتصادي روسي صاحب نظرية الدورات الاقتصادية من 40-60 سنة ، أعدمه ستالين عام 1938م. (Wikipedia, Kondratieff)

(2) تايلور، بيتر وفلسنت، كولن: الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر، 282، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يونيو 2002م، ص41.

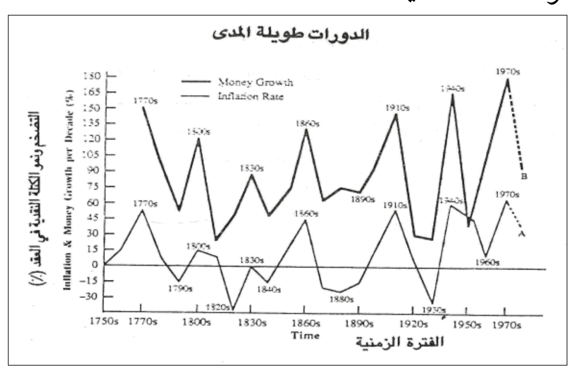
(3) تايلور، بيتر وفلسنت، كولن: الجغرافيا السياسية، 51.

الدورات		دول المركز	دول أشباه الأطراف	دول الأطراف
اللوجستية	أ	الكشوف الجغرافية المبكرة على يد إسبانيا والبرتغال لكن الانتعاش الاقتصادي في مناطق شمال غرب أوروبا	تدهور نسبي لمناطق وسط أوروبا وشواطئ البحر المتوسط الأوروبية.	إمبراطورية أيبيريا في العالم الجديد - مرحلة الإقطاع الثاني في شرقي أوروبا.
	ب	دول شمال غربي أوروبا تحكم قبضتها على الاقتصاد العالمي، التنافس الهولندي ثم الفرنسي - الإنجليزي حول المستعمرات	تدهور أحوال أيبيريا - ارتفاع مستوى السويد وبروسيا وشمال شرقي الولايات المتحدة.	انكماش في أمريكا اللاتينية وبلدان شرقي أوروبا. انتعاش صناعة السكر في دول الكاريبي - هزيمة فرنسا في الهند وكندا.
دورة كوندراتيف (١)	أ	الثورة الصناعية في بريطانيا - الثورة الكبرى في فرنسا - هزيمة فرنسا.	تدهور نسبي في كل مناطق أشباه الأطراف - قيام الولايات المتحدة الأمريكية.	تصفية بعض المستعمرات - حركة التوسع - السيطرة على مقدرات الهند رسميا، وعلى أمريكا اللاتينية بصورة غير رسمية.
	ب	سيادة بريطانيا الاقتصادية - بدايات الفكر الاشتراكي في بريطانيا وفرنسا.	انتعاش نسبي في أمريكا الشمالية وبلدان وسط أوروبا.	اتساع دائرة النفوذ البريطاني في أمريكا اللاتينية - بدايات الانفتاح على بلدان شرقي آسيا.
دورة كوندراتيف (٢)	أ	بريطانيا تصبح «ورشة العالم في الصناعة» في زمن التجارة الحرة.	إعادة تشكيل مناطق أشباه الأطراف - الحرب الأهلية في الولايات المتحدة - الاتحاد الألماني الوحدة الإيطالية، روسيا تدخل الحلبة.	المرحلة الكلاسيكية «للاستعمار غير المباشر» - نمو بلدان أمريكا اللاتينية.
	ب	تدهور أحوال بريطانيا مقارنة بالولايات المتحدة وألمانيا - ظهور الدولية الاشتراكية الثانية.	تدهور أحوال روسيا وبلدان سواحل البحر المتوسط الأوروبية.	حركة التوسع - الصراع الأوروبي حول أفريقيا - عصر الاستعمار بصوره الكلاسيكية.
دورة كوندراتيف (٣)	أ	السيادة الاقتصادية للولايات المتحدة وألمانيا - سباق التسلح.	دخول اليابان في الحلبة - ظهور دول السيادة.	المستعمرات الجديدة في أفريقيا - انتعاش التجارة في الصين.
	ب	هزيمة ألمانيا - الإمبراطورية البريطانية وكيفية صيانتها - السيادة الأكيدة للاقتصاد الأمريكي.	انتصار الاشتراكية في روسيا وقيام الاتحاد السوفييتي - دخول الأرجنتين في الحلبة.	إهمال أحوال بلدان الأطراف وثورات بلدان الأطراف - بدائل الاستيراد في بلدان أمريكا اللاتينية.
دورة كوندراتيف (٤)	أ	الولايات المتحدة كقوة عظمى اقتصاديا وعسكريا في العالم - مرحلة جديدة للتجارة الحرة.	قيام بلدان شرق أوروبا - الحرب الباردة - ظهور مجموعة أوبك في الساحة العالمية.	انتصار الاشتراكية في الصين - تصفية الأشكال القديمة للاستعمار ليحل محلها الاستعمار في ثوبه الجديد.
	ب	تدهور أحوال الولايات المتحدة مقارنة بأوروبا واليابان - سباق التسلح النووي.	بروز دول «شبيهة باليابان» في بلدان شرقي آسيا- انهيار النظام الشيوعي في شرقي أوروبا - نهاية الاتحاد السوفييتي - ازدياد ديون بلدان العالم الفقيرة لدول المركز.	أزمة اقتصادية حادة وقيام الصراعات الدولية - استشراء الفقر في بلدان العالم.

الشكل رقم 2

وكذلك كشف جورج مودلسكي[1] Modelsk عن دورات منتظمة للتاريخ السياسي للغرب مدتها مائة عام. ثم قدم ولارشتين[2] Immanuel Wallerstein (1853-1923) نموذجاً يضم هاتين الدورتين السياسية والاقتصادية في جدول واحد[3].

أضف إلى ذلك اكتشاف دقيق آخر في مجال التاريخ الاقتصادي، حيث اكتشف رافي باترا عالم الاقتصاد الأمريكي الدورة المنتظمة لحجم الكتلة النقدية للاقتصاد الأمريكي والتي تبلغ قمتها كل ثلاثة عقود (30سنة) على مدى قرنين كاملين باستثناء الحرب الأهلية. وهو حدث مدهش بحد ذاته لأن جميع الاقتصاديين يتفقون على أن حجم الكتلة النقدية عرضة لعدد كبير من المؤثرات التي تبدو غير متصلة ببعضها. ويتساءل كيف أمكن لكل هذه القوى والمؤثرات أن تلتقي لتسير في مسار محدد منذ أكثر من قرنين؟ ويجيب سوى إذا كان هناك قانوناً طبيعياً يتحكم في حركة الكتلة النقدية[4].(الشكل رقم 3 لدورات التضخم ونمو الكتلة النقدية)



(1) جورج مودلسكي: أكاديمي أمريكي، أستاذ العلوم السياسة بجامعة واشنطن (Wikipedia, Modelski)

(2) ولارشتاين : عالم اجتماع أمريكي ، حصل على الدكتوراه عام 1959م ، عمل أستاذا في جامعة بينجانتون حتى تقاعده عام 1999م. اشهر مؤلفاته النظام العالمي الحديث ، ومنهج النظم العالمي . اشتهر مع نعوم تشومسكي بمعاداة الرأسمالية، يرفض فكرة العالم الثالث ويقول بوجود نظام عالمي واحد ظهر نتيجة شبكة معقدة من علاقات التبادل الاقتصادي التيً أفرزت تراكماً لانهائياً للرأس المال. أثارت نظريته في النظم العالمية الكثير من النقد. (Wikipedia, Wallerstein) .

(3)تايلور، بيتر وفلسنت، كولن: الجغرافيا السياسية، 39 وما بعدها.

(4) باترا، رافي: الكساد الكبير في التسعينات، مؤسسة الرسالة، بيروت 1993م، ص 84-90.

والنظام الدوري ليس فقط في تاريخ النشاط الاقتصادي أو الأنظمة السياسية بل أيضاً في تاريخ الفكر والفلسفة. حيث أشارت دراسات القياس التاريخي إلى أن تاريخ الفكر والفلسفة يتأرجح في حركات جندولية بطيئة بين نظامين أيديولوجيين كبيرين أطلق عليها النظام الحسي والنظام التصوري Sensate System و Ideational System.

ورغم انتقاد البعض لهذا الكشف إلا أنه تم تأكيد الطبيعة الدورية للأفكار الفلسفية في دراسات عن تأثيرات البيئة والوراثة للعبقرية والإبداع والقيادة[1].

كما برز اعتقاد أن التفسيرات التي تأخذ بنظام الدورات في حركة التاريخ لا تتعارض مع التفسير القائل بالتقدم المطرد لحركة التاريخ- الذي قال به فلاسفة أمثال هيجل وماركس- وقُدم مثلاً لذلك في نظرية توماس كون[2] حول الثورات العلمية، التي تسير وفق نظام الدورات ولكن بموجب تراكم المعرفة المتقدم[3].

أضف إلى ذلك الساعة البيولوجية لدى الإنسان والمرتبطة بحركة الليل والنهار[4]، وكل وظيفة فسيولوجية تقريباً تعمل في أجسامنا تفعل ذلك في وقت يتناسب مع هذا الإيقاع[5].

---

(1) سايمنتن: العبقرية والإبداع والقيادة، 70-72.

(2) توماس صامونيل كون: مفكر امريكي ولد عام 1922 وتوفي عام 1996م. له عدة كتب ودراسات في تاريخ العلوم وفلسفة العلم، اهمها كتابه بنية الثورات العلمية.(توماس كون، ويكيبيديا).

(3) سايمنتن: العبقرية والإبداع والقيادة، 212، 213. وللمزيد عن هذه النظرية ينظر: كون، توماس: بنية الثورات العلمية، ترجمة شوقي جلال، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 168، 1992.

(4) للمزيد عن الساعة البيولوجية ينظر: ميشيل يونج: دقات الساعة البيولوجية، مجلة العلوم، المجلد 16، العدد9، الكويت، سبتمبر 2005، ص4-11.

(5) فيبس: زمان الجسم، ص133.

أما من الناحية الآثارية فإن بعض الأبحاث الأثرية في بلاد الشام أشارت على سبيل المثال إلى أن المناطق الزراعية مرت بفترات جفاف ونشاط زراعي متعاقبة[1].

هذه الرؤية تعطينا معرفة بأن الأنظمة الدورية تشمل الكون والإنسان والتاريخ. مستنتجين من ذلك أنها ضمن سياق واحد كلي في منظومة كونية متكاملة.

وحقيقة فإن النظام الدوري هو أحد أهم الدالات للعلاقة المتماثلة أو المتجانسة أو المترابطة أو المتناظرة بين العالم الفيزيائي وحركة التاريخ.

ولكن من أين تأتي هذه المنظومات الدورية للكون والإنسان والتاريخ؟ ما هو مصدرها؟ وما طبيعته؟ هذا سيقودنا إلى التفسير الفيزيائي للكون وعلاقته بحركة التاريخ. ولكن التفسير الفيزيائي بالمفهوم الحديث.

ثالثاً: البعد الطبيعي والفيزيائي لحركة التاريخ في الفكر والفلسفة:

البعد الطبيعي والفيزيائي لحركة التاريخ ليس بعيداً عن الفكر والعقيدة والفلسفة الإنسانية، قديماً وحديثاً، شرقاً وغرباً، حيث تتقارب الرؤى تارةً وتتباين تارة أخرى، ولكن في النهاية العالم الفيزيائي المحيط بنا كان حاضراً ليس بغائب في كل الفكر الإنساني. ولهذا سنقف بشكل سريع عند أبرز محطات الفكر الإنساني.

أ) البعد الطبيعي والفيزيائي لحركة التاريخ في الفكر الإسلامي:

تناول القرآن الكريم الطبيعة وأحداثها كمظهر من مظاهر القدرة والإرادة الإلهية، والخلق والإبداع الإلهي. لهذا فإن الفكر الإسلامي يحتفل بصنع الخالق في البناء المادي للكون والكشف عن أسراره وقوانينه وقواه الآلية، والانتفاع بتسخيرها. وتعلم أن المادة

(1) أشتور، أ: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة عبد الهادي عبلة، دار قتيبة، دمشق 1985، ص70.

هي أوليات الحقائق العقلية الممهدة لفهم الحقائق الروحية والقيم العليا التي توجد وراء المادة.

وعلى ذلك فالفلسفة الروحية للإسلام تقوم على الاعتراف بالمادة، والرؤية العلمية في قوانينها. حيث نستلهم من قصة التساؤلات الإنسانية في القرآن إلى التوافق بين طبيعة الكون والإنسان ونشأته والتقدير الإلهي المحيط بالكون والإنسان وأن التوافق بينهما هو القاعدة.[1]

وكان الرسول – صلى الله عليه وسلم أشار– إلى جانب من علاقة قانونية بين العالم الفيزيائي والسلوك الإنساني من خلال الحديث الشريف " يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ ، لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَؤونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ "[2]

والحقيقة أن العبادات الإسلامية ترتبط ارتباطاً كلياً بالعالم الفيزيائي المحيط بنا، فالصيام يرتبط بحركة القمر في شهر رمضان، والصلاة ترتبط بحركة الشمس. والحج يرتبط بالأشهر القمرية. فهل هذا مجرد قياس الزمن. أم أن هناك بعداً فيزيائياً للفعل الإنساني أكثر عمقاً وبعداً مما يبدو لنا؟

(1) الشرقاوي، عفت: أدب التاريخ عند العرب، (د. ن، د.م، د.ت)، ص206.

(2) رواه الطبراني في المعجم الأوسط رقم 4671.، وابن ماجه في السنن رقم 4019.

من المؤكد أن التفسير الإسلامي للتاريخ لا يخلو من الأخذ بالبعد الفيزيائي لحركة التاريخ، "فإن هذا العالم بكل ما فيه من نبات وجماد وحيوان وإنسان وأجرام سماوية... يقع ويحدث وفق قانون عام دقيق ثابت لا يخرج عن أحكامه شيء".[1] ولأجل ذلك فإن لهذا القانون العام وجهان، الأول هو الذي تخضع له الكائنات الحية والمادية في وجودها المادي الفيزيائي، الثاني الذي يخضع له البشر في تصرفاتهم وأفعالهم وسلوكهم، وهو الذي اسماه القرآن الكريم بالسنن الإلهية التي تحكم الكون والإنسان والتاريخ.[2]

لكل ذلك، تنبه المؤرخون المسلمون الأوائل إلى هذا الجانب، مثل اليعقوبي (ت292هـ)[3] الذي لم تخلُ نظرته للتاريخ من الربط بين حركة التاريخ والأفلاك، وكذلك المسعودي (ت345هـ)[4] الذي قدم تفسيرات وتأويلات تربط بين حركة التاريخ وحركة الكواكب وتأثيرات الجغرافيا الطبيعية مثل تأثير التربة على الإنتاج الغذائي وتأثير ذلك في طبائع وأمزجة البشر، بل والتشابه بين دورات الحياة في كل من النبات والحيوان والنظم السياسية، وبهذا كان المسعودي قد أثار في الفكر التاريخي عند المسلمين مسألة العلاقة بين البيئة الطبيعية وحركة التاريخ الإنساني[5].

---

(1) زيدان، عبدالكريم: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، بيروت، 1993، ص7.

(2) زيدان: السنن الإلهية ،7-12.

(3) اليعقوبي ، أحمد بن إسحاق بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح: مؤرخ جغرافي من بغداد كان كثير الأسفار ، له العديد من المؤلفات منها: تاريخ اليعقوبي، وكتاب البلدان.(الحموي، ياقوت: معجم المؤلفين، (د.ن، د.م، د.ت)، ج1ص161؛ الزركلي: الأعلام،95/1).

(4) المسعودي علي بن الحسين بن علي ، ابو الحسن المسعودي: من ذرية عبدالله بن مسعود رحاله، مؤرخ ولد ونشأ في بغداد وسكن مصر، رحل فزار فارس والهند وغيرهما أشهر مؤلفاته : مروج الذهب.(الحموي: معجم المؤلفين،80/7؛ الزركلي: الأعلام،277/4).

(5) إسماعيل، محمود: إشكالية تفسير التاريخ عند المؤرخين المسلمين الأوائل، عالم الفكر العدد 4، المجلة 29 أبريل – يونيو 2001،ص43-45 ؛ عفت الشرقاوي: أدب التاريخ عند العرب ،282-301.

أما الفيلسوف الكندي[1] (ت 260 ه/ 873 م) وهو سابق على اليعقوبي والمسعودي فعنده أن الكائنات جميعها حادثة والعالم عنده منفعل وأن أول منفعل عن الله هو الفلك، بما فيه من أجرام وهو أول المبدعات ومحله الحوادث في العالم الأرضي وأن الأجرام العليا هي التي تسبب الظواهر الأرضية من حرارة وبرودة وهي تؤثر في الكائنات الحية على ظهر الأرض من نبات وحيوان وإنسان وأن النفس عند الكندي وسط بين العقل الإلهي وبين العالم المادي، وعنها صدر عالم الأفلاك وهذه فكرة أفلاطونية.[2]

ويمكن إدراج ابن حزم الأندلسي (ت456 هـ)[3] بين الذين يعتقدون أن حركة التاريخ تصنعها منذ البداية وفي إطار الحركة الكونية إرادة الله، ودور الإنسان في هذه الحركة عند ابن حزم دور محكوم بهذه الحركة الكونية، وبمجموعة الطبائع الفطرية التي خلق الله الناس عليها[4].

(1) الكندي ، يعقوب بن إسحاق أبو يوسف: فيلسوف العرب والإسلام في عصره، وأحد أبناء الملوك من كندة. نشأ في البصرة. وسكن بغداد إلى بغداد، فتعلم واشتهر بالطب والفلسفة والموسيقى والهندسة والفلك. له مؤلفات كثيرة، نحو ثلاثمائة. عانى من الدس به إلى المتوكل العباسي، فضرب وأخذت كتبه، ثم ردت إليه. ثم أكرم عند المأمون والمعتصم. (ابن النديم، محمد بن إسحاق: الفهرست، (د.ن) بيروت 1978م، ص357؛ الزركلي : الأعلام، 195/8).

(2) ينظر: التكريتي، ناجي: فلسفة الكندي الخلفية، مجلة المورد، المجلد الثامن ، العدد الثاني 1399-1979م، بغداد، ص106-107. نسبة إلى أفلاطون 347-427 ق.م من مشاهير فلاسفة اليونان ، تلميذ سقراط ومعلم أرسطو . أساس فلسفته نظرية الأفكار وعالم المثل من مؤلفاته الجمهورية والمحاورات. (للمزيد: بدوي: موسوعة الفلسفة،154/1).

(3) ابن حزم علي بن احمد القرطبي الظاهري (384-465هـ/944-1064م): مؤرخ وفقيه ومحدث أندلسي، له مذهب اشتهر به وكان منتشراً في الأندلس اشتغل بالوزارة ، وكان شافعي المذهب ثم أصبح ظاهرياً، أشهر مؤلفاته كتاب الفصل في الملل والنحل. (الذهبي: سير أعلام النبلاء،184/18؛ الزركلي: الأعلام،58/5).

(4) عويس، عبدالحليم: تفسير التاريخ اعلم إسلامي، دار الوفاء، القاهرة (د ت)، ص122.

وكذلك كان كل من صاعد الأندلسي (ت462هـ)[1] وابن خلدون قد أشارا بشكل أكثر تفصيلاً إلى تأثير عوامل الجغرافيا مثل التربة والهواء على الإنسان، ولكن ليس كعلاقة ذات طبيعة قانونية[2].

على أن ابن رشد[3](ت595ه) من أبرز فلاسفة الإسلام الذين قالوا بالنظام الفيزيائي للكون، وبخضوع حركة الإنسان للسنن الفيزيائية لدرجة اعتقد البعض بأنه أخضع الفرد للحتمية فنفى بذلك حرية الإرادة وقال بالجبرية المطلقة[4].

ويشمل تصور ابن رشد للكون حتمية تأثير الأجرام السماوية تأثير كامل على الموجودات الأرضية. وهي حتمية أقرب إلى حتمية ديمقريطس[5] Democritus (ت 370ق م) من حتمية أرسطو كما تقول زينب عفيفي في دراستها لفلسفة ابن رشد[6].

---

(1) صاعد الأندلسي، صاعد بن احمد بن عبدالرحمن التغلبي: (420-462هـ/ 1029-1070م): مؤرخ وفقيه من قرطبة ، ولي القضاء في طليطلة إلى أن توفى . من كتبه طبقات الأمم.(سركيس، اليان: معجم المطبوعات العربية، مطبعة سركيس، مصر 1928، ج2ص1182، الزركلي: الأعلام،186/3).

(2) ابن خلدون، عبدالرحمن: المقدمة، دار القلم، بيروت 1981، ص82-87؛ عفت الشرقاوي: أدب التاريخ عند العرب،313،314.

(3) ابن رشد، محمد بن أحمد أبو الوليد (520-595هـ/ 1126-1198) فقيه وفيلسوف من قرطبة اهتم بفلسفة أرسطو وترجمها إلى العربية ، ألف نحو خمسين كتاباً ، منها فصل المقال فيا بين الحكمة والشريعة ن الاتصال ،ومنهاج الأدلة في الأصول وتهافت التهافت في الرد على أبي حامد الغزالي. اتهمه أعدائه بالزندقة والإلحاد، فحرضوا عليه المنصور، ونفاه إلى مراكش، واحرق بعض كتبه ، ثم رضي عنه وأذن له بالعودة إلا انه توفي بمراقش، ونقلت جثته إلى قرطبة.(ابن العماد: شذرات الذهب،367/4؛ الزركلي خير الدين ، الأعلام ،318/5).

(4) عفيفي، زينب: فلسفة ابن رشد الطبيعية، (د ن) القاهرة 1988، ص43.

(5) ديمقريطس (460 ق م- 370 ق م): فيلسوف يوناني، عرف بالفيلسوف الضاحك، تنسب إليه النظرية الذرية المفسرة للكون، زار بلاد فارس والهند ومصر في سبيل التعلم والحوار مع الفلاسفة.(للمزيد عنه: النشار، على سامي: ديمورقطوس، فيلسوف الذرة وأثره في الفكر الفلسفي حتى عصورنا الحديثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1972م).

(6) عفيفي: فلسفة ابن رشد الطبيعية، 143.

أما جلال الدين الرومي[1](ت672هـ) صاحب فلسفة الحب فقد قدم رؤية يرى فيها التناغم والاتساق في الكون والمخلوقات، فالكون في نظره كأنه بيت الله عز وجل وجميع المخلوقات هم أهل هذا البيت، وتستحق جميعها الاحترام والحب.[2]

وبشكل عام فإن " فلسفة الطبيعة في الإسلام فلسفة غائية، بمعنى أن الطبيعة خلقت بحكمة، فهناك اطراد وانتظام في قوانينها، لكن ذلك لا يمنع الحرية الكاملة للإرادة الإلهية من التدخل في هذا النظام"[3]. والإنسان مدار هذه الطبيعة ومسخرة له، في تأثير متبادل فيما بينهم.

ب- البعد الطبيعي والفيزيائي لحركة التاريخ في الفكر الغربي:

كان الفلاسفة اليونان يربطون بين نظرتهم إلى التاريخ وتفسيرهم للطبيعة فآمنوا بفكرة الأدوار التاريخية والحضارية، فالتاريخ الإنساني يدور مع الدورات الطبيعية ميلاداً وفناءً، ازدهاراً واضمحلالاً، وهي النظرة البسيطة في الربط بين الطبيعة والتاريخ، ولهذا توسع أفلاطون في عرض فكرة دورانية التاريخ[4].

---

(1) محمد بن محمد بن حسين بهاء الدين البلخي؛ المعروف بمولانا جلال الدين الرومي، العالم والفقيه المربي. عرف بالرومي لأنه قضى معظم حياته لدى سلاجقة الروم في تركيا الحالية. انتقل مع أبيه واستقر في قونية في عام 632 هـ/1226م حيث لقي الرعاية من الأمير السلجوقي "علاء الدين قبقباذ"، واختير للتدريس في أربع مدارس بـ "قونية". يعد من أبرز مفكري الإسلام. أبرز مؤلفاته المثنوي. (للمزيد: الندوي، أبو الحسن: رجال الفكر والدعوة في الإسلام، دار القلم، دمشق 2002، 391وما بعدهما).

(2) اوقويوجو، جيهان: مولانا جلال الدين الرومي، ترجمة اورخان محمد علي، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة 2009م،ص55.

(3) شاخت، جوزيف و بوزورث، كليفورد: تراث الإسلام، ترجمة حسين مؤنس و إحسان صدقي العمد، الكويت 1998م، ص45،46.

(4) النشار، مصطفى: من التاريخ إلى فلسفة التاريخ، القاهرة 1977، ص82 وما بعدها؛ الطويل، توفيق: فلسفة الأخلاق، القاهرة 1979، ص107 وما بعدها.

ومثال آخر من الفكر اليوناني القديم، فيثاغورس[1] Pythagoras of Samos (ت495 ق م) الذي توصل إلى إثبات العلاقة بين العدد والموسيقى. ثم أثبت العلاقة بين العدد والحيز من خلال حساب المثلثات وتوصل إلى فلسفة في فهم الكون أن هذا العالم عبارة عن رقم ونغم. وكان هذا ضمن إطار إيمان ديني في عقيدة تؤمن أن الكون خلق وفق خطة مقدسة، حيث الحقيقة المطلقة ليست مادية بل روحية، مؤلفة من أفكار العدد والشكل وأن الأفكار هي مفاهيم مقدسة أسمى من المادة ومستقلة عنها.

كما أن لهذا الكون تناسقا ونظاما داخليين نتيجة اتحاد المتضادات. وبهذا فإن الأفكار المقدسة التي خلقت الكون وتقوم بالحفاظ عليه، هي الأفكار المتعلقة بالعدد. لذلك فإن دراسة علم الحساب هي السبيل إلى الكمال، لأنها تقدم مدخل للتعرف على الخطة المقدسة، ونظرية فيثاغورس أصبحت من السمات الرئيسة في النظرة الحديثة إلى العلم في تقديره لأهمية العدد[2].

أما تفسير نظرية الرواقيين[3] للتاريخ فتقوم على أساس أن التاريخ الإنساني إنما هو جزء لا يتجزأ من مجمل النظام الطبيعي، وكلاهما يسير على نحو دوري متكرر في دورات

---

(1) فيثاغورس (570 – 495 ق.م): فيلسوف يوناني، شهر بنظرياته الشهيرة في الرياضيات، أقام في مستعمرة كرتون اليونانية في إيطاليا حوالي سنة 530 ق.م. أنشأ بها مدرسة للتعليم والتفلسف والرياضة الروحية. (للمزيد عن فيثاغورس: قربي، عزمت: الفلسفة اليونانية، القاهرة (د ن. د م . د ت)، ص58 وما بعدها؛ غالب، مصطفى: فيثاغورس، دار مكتبة الهلال، بيروت 1985).

(2) برونوفسكي: ارتقاء الإنسان،109؛ رسل، برتراند: حكمة الغرب، ج1، ترجمة فؤاد زكريا ،عالم المعرفة 62، الكويت فبراير 1983– ص42؛ ماكليش، جون: العدد، من الحضارات القديمة حتى عصر الكمبيوتر، ترجمة خضر الأحمد وموفق دعبول– عالم المعرفة 251، الكويت نوفمبر 1999، ص115 وما بعدها.

(3) رواقية : مدرسة فلسفية أسسها زينون 200ق.م وأضاف إليها أتباعه بعد ذلك، يرى الرواقيون أن الحقيقة مادية تتحكم بها قوة توجهها وهي الله وما دامت الطبيعة تسير وفق العقل فمن الحكمة أن يسير الإنسان وفق الطبيعة منصرفا عن ميل العواطف والأفكار التي لا تتلاءم مع القانون الطبيعي وحرية الإنسان مرهونة بأدائه لواجبه في أتباع الطبيعة وقوانينها، كان زينون يعلم في رواق وإليه نسبت الرواقية .(للمزيد: عبدالرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، 1 / 527) .

متعاقبة من الولادة والنمو والفناء، كما أن هذا التاريخ الإنساني يجري وفقاً لقانون إلهي أو عقل إلهي لوجوس logos [1] ينظمه ويتحكم فيه بحسب دوراته المتعاقبة[2].

وكذلك مؤرخو العصور الوسطى في أوروبا، الذين غلب عليهم فكر اللاهوت المسيحي، وخاصة مؤرخو الحروب الصليبية فكانوا يربطون بين الظواهر الطبيعية وبين أوضاعهم القتالية وأوضاعهم العامة، مثل ظهور المذنبات والزلازل وسقوط النيازك وخسوف القمر كل ذلك كان يفسر على أنه إشارات وتدخلات ورسائل وتحذيرات إلهية إلى الصليبيين. فالطبيعة بنظرهم كانت تعمل لصالحهم[3].

ومنذ عصر النهضة تنازع الفكر الغربي في أوروبا محاولات شتى لفهم الكون وتفسير التاريخ، سواءً بتأثير الانتماء المسيحي أو محاولات التجرد من الإيمان الديني، ولهذا فإن المفكرين الغربيين في كثير من جوانب أفكارهم لم يبتعدوا عن بعض أبعاد الفهم الفيزيائي والطبيعي لحركة التاريخ. منهم على سبيل المثال جان بودان Bodin[4](ت1596) الذي

(1) لوجوس تعني الكلمة أو اللغة، لكنها أخذت معاني فلسفية ودينية منها العقل الكلي أو الخطاب. فعند هيرقليطس اللوجوس هو القانون الكلي للكون، وعند آباء الكنيسة السيد المسيح. (للمزيد: عبدالرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، 371/2).

(2) النشار: من التاريخ إلى فلسفة التاريخ، 82 وما بعده؛ الطويل: فلسفة الأخلاق، 107 وما بعدها.

(3) ينظر: ريموند اجيل: تاريخ الفرنجة غزاة بين المقدس، ترجمة حسين عطية، الإسكندرية 1990، ص91؛ رنسمان، ستيفن: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، بيروت 1993، ص332؛ جوناثان ريلي، سميث: الحملة الصليبية الأولى، ترجمة محمد فتحي الشاعر، القاهرة 1993،ص103.

(4) جان بودان Bodin (1530 - 1596م): فيلسوف وسياسي فرنسي من فلاسفة المذهب التجاري. ولد في آنجر، عمل أستاذا للقانون في تولوز. واشتهر بنظريته عن السيادة.له عدة مؤلفات منها كتاب: ستة كتب عن الجمهورية، ومنهج لتيسير فهم التاريخ ، وضع فيه اعتقاده أن التاريخ يوحي إلينا بالفضيلة عن طريق الكشف عن هزائم الأشرار وانتصارات الأخيار.(للمزيد : سباين، ج: تطور الفكر السياسي، ترجمة راشد البراوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،، القاهرة (د ت)، ص 50).

كان يعتقد أن الأسباب المؤثرة في الحدث التاريخي هي توازن السائل في الإنسان والمناخ والموقع الجغرافي والنجوم[1] في إطار شامل للطبيعة والإنسان. كذلك مونتسكيو نحى منحى ابن خلدون حول أهمية العالم الجغرافي[2]. وفي فكر جيوفاني باتيستا فيكو Vico[3](ت1744) الذي فسر التاريخ ضمن إطار دورات عقلية وفكرية للإنسان بشكل أوضح فيه أنه يستطيع معه المؤرخ الكشف عن القوانين العملية لمسار التاريخ، وبقدر كبير من اليقين.

كذلك كان يؤمن بنظرية العناية التي تحكم الطبيعة وعملية التاريخ المنظمة وهي ما يسميه العناية العامة، بينما العناية الخاصة هي التي تهتم بقيادة الناس والحياة. وبهذا فإن أحداث التاريخ وعمليات الطبيعة معاً خاضعان للعناية العامة[4].

وقدم إمانويل كانط[5] Immanuel Kant (ت 1804) في جانب من فلسفته للتاريخ فكراً يقول أن الطبيعة تصنع مخططاً محكماً، فحركة التاريخ يسير عليه الأفراد والشعوب لاشعورياً. بمعنى أن الطبيعة تتدخل كمسيطر في سير حركة التاريخ، قاصداً من قدرة

---

(1) بدر: تفسير التاريخ ،417؛ ويدجيري: البان: المذاهب الكبرى في التاريخ، ترجمة ذوفان قرطوط، بيروت 1979، ص190، 191.

(2) بدر: تفسير التاريخ ،21-23؛ ويدجيري: المذاهب الكبرى في التاريخ، 198.

(3) فيكو، جيوفاني (1668-1744) : فيلسوف ايطالي ولد في نابولي، عمل أستاذا للبلاغة واللغة، له العديد من المؤلفات منها العلم الجديد في الطبيعة المشتركة للأمم (صبحي: فلسفة التاريخ،159حاشية رقم1).

(4) ويدجيري: المذاهب الكبرى ،193 وما بعدها؛ رسل، برتراند: حكمة الغرب، ج1، ترجمة فؤاد زكريا، عالم المعرفة 72، الكويت ديسمبر 1983، ص94 وما بعدها؛ صبحي، احمد محمود: في فلسفة التاريخ، الاسكندرية2004، ص159 وما بعدها.

(5) إيمانويل كانط (1724 - 1804): فيلسوف ألماني درس اللاهوت ثم الرياضيات والفلسفة والطبيعة، عمل معلما ثم أستاذا في الجامعة، من أهم مؤلفاته نقد العقل المحض، نقد العقل العملي ميتافيزيقيا الأخلاق وغيرها. عده البعض أعظم فلاسفة العصر الحديث. (للمزيد: عبدالرحمن بدوي موسوعة الفلسفة،269/2 وما بعدها).

الطبيعة قدرة الله عز وجل[1]. وسايره في ذلك هردر Herder[2](1744-1803) الذي كان يعتقد أن الإنسان هو ذروة النمو الفيزيائي وبداية النمو العقلي وأن "كل ظاهرة في التاريخ تكون من نتائج الطبيعة". بل إن "التاريخ البشري بكامله هو تاريخ طبيعي صرف للسلطات والأعمال والاتجاهات التي يأتي الزمان والمكان فيعدلانها"[3].

وكان من رأي أوجست كونت[4] August comte (ت1857)-مؤسس علم الاجتماع- أن حركة المجتمع تخضع بالضرورة لقوانين فيزيائية لا تتغير بدلاً من أن يحكمها نوع من الإرادة[5].

على أنه إذا كان أمانويل كانط يقصد بالطبيعة قدرة الخالق فإن أوجست كونت ينفي يد الخالق على الطبيعة من الأساس. فنظرته كانت أقرب إلى الإلحاد منكراً للرب وداعياً إلى

---

(1) كنت، إمانويل: نظرة في التاريخ العام بالمعنى العالمي ، من كتاب النقد التاريخي ، ترجمة عبدالرحمن بدوي ،الكويت 1977،ص281- 298؛ ويدجيري: المذاهب الكبرى ،218.

(2) هردر (1744-1803): فيلسوف ورجل دين وشاعر ألماني. امتاز شعره بالسهولة والنزعة الوجدانية ، أشهر مؤلفاته كتابه الفلسفي خواطر في فلسفة تاريخ الإنساني وفيه حاول أن يفسر النمو الإنساني عن طريق البحث في ماهية اتصال الإنسان بالبيئة الطبيعية (للمزيد ينظر: Herder, J. G., Another Philosophy of History and Selected Political Writings, Translated Evrigenis, I. D. and Pellerin, D., Indianapolis 2004, pp ix ff).

(للمزيد ينظر: Herder, J. G., Another Philosophy of History and Selected Political Writings, Translated Evrigenis, I. D. and Pellerin, D., Indianapolis 2004, pp ix ff).

(3) الشرقاوي: أدب التاريخ عند العرب ،130؛ ويدجيري: المذاهب الكبرى، 209.

(4) اوجست كونت (1798 -1857) : عالم اجتماع وفيلسوف اجتماعي، مؤسس الفلسفة الوضعية القائلة لا سبيل إلى المعرفة إلا بالحواس والخبرة (بدوي: موسوعة الفلسفة،311/2 وما بعدها).

(5) كريب، ربان: النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس ، ترجمة محمد حسين غلوم، عالم المعرفة 244 أبريل 1999، مقدمة المترجم ، ص12.

ديانة جديدة لا تؤمن بالخالق. بينما كان المؤمنون بالخالق إذا تحدثوا عن تأثير الطبيعة فهم يقصدونها كأثر من آثار قدرة الخالق ووجوده. وليس إنكاراً له، فالكون هو الكتاب المفتوح الداعي إلى التأمل والاعتبار للقدرة الإلهية وليس العكس.

وبالتالي كان هدف علم الاجتماع الكشف عن القوانين المسيطرة على حركة المجتمع من خلال منهج وضعي بغرض الاستفادة منها والتأقلم معها فقط، دون محاولة تغييرها لأن محاولة التغيير لا طائل منها إذ أنه يشبه من يحاول تغيير قانون الجاذبية[1].

أما هيجل Hegel [2](ت1831) أشهر فيلسوف مثالي في القرن التاسع عشر الذي كان يقول إن "العقل مسير العالم"[3]، فقد كان يرى أن الطبيعة مسرح التاريخ الشامل، وهي تجسيد للعقل وإن كان التاريخ محكوماً بتأثيراتها. على أنه ينبه أنه لا ينبغي المبالغة في تقدير أثر الطبيعة أو إغفاله كل الإغفال.[4] وبحسب نظرته الجدلية الشيء ونقيضه والمركب لهما، فإن الوجود ما هو إلا الفكرة والطبيعة والروح الكلية. حيث الطبيعة الوجه الآخر للفكرة أو ضدها ولكنهما في النهاية ليس شيئين منفصلين.[5]

---

(1) كريب،ربان: النظرية الاجتماعية ،13؛ ينظر أيضاً: عودة، محمود: تاريخ علم الاجتماع، ج1، (د ن) بيروت (د ت) ، ص87. كذلك فكر فردريك أنسيون (1766-1837) الذي تضمن جانبين مثالي ومادي رأى في جانبه المادي أن الشعوب تعتبر كأنها كائنات منتظمة، خاضعة في الحياة وفي الممات لقوانين غير متغيرة وتنطلق في معالجتها للتاريخ المدني من التاريخ الطبيعي (ويدجيري: المذاهب الكبرى ،225، 226).

(2) هيجل، جورج فردريك (1770-1831): فيلسوف ألماني، ولد في مدينة شتوت جارد الألمانية، درس الفلسفة واللاهوت ثم ركز دراسته أكثر في أعلام التصوف الألمان، عمل مدرسا خصوصيا، ثم مدرسا في جامعة ييل ثم في جامعة هيدلبرج وجامعة برلين، يعد أعظم الفلاسفة الألمان في عصره. (بدوي، عبد الرحمن: الموسوعة الفلسفية، بيروت1984م، ج2ص574 وما بعدها).

(3) النشار: من التاريخ إلى فلسفة التاريخ، 56.

(4) هيجل ، جورج: العقل في التاريخ، ترجمة: امام عبدالفتاح امام، بيروت 2007م، ص80؛ ويدجيري: المذاهب الكبرى،232.

(5) هاورد اوزمون وصمويل كرافر: الاصول الفلسفية للتربية، تعريب: بدر بن جويعد العتيبي، بيروت2005، ص25،26.

وكذلك رالف والدو إيمرسون[1] Emerson (ت1882) الذي كان يؤمن بوجود روح مشترك بين جميع الأفراد فإنه يشير أن الطبيعة جزء أو وجه للكل الروحي. والطبيعة تعمل كدفع ابتدائي لجميع المخلوقات وترغمها على السير إلى الأمام ويسأل: "هل نكون اللعبة التي تلهو بها الطبيعة"؟ ويقول أن "نظرة بسيطة تلقيها العين على ما يحيط بنا كل يوم ترينا أن هناك قانونـاً أعلى من إرادتنا يسير مجرى الأحداث، وأن أعمالنا الشاقة تذهب عبثـاً وبلا جدوى، وأننا لسنا أقوياء إلا في أفعالنا السهلة والبسيطة والعفوية"[2].

أما المفكر الإنجليزي هنري توماس بكل[3](ت1867) Buckle فكان مقتنعـاً أن ظواهر التاريخ الإنساني تقدم حالات انتظام وثوابت شبيهة بقوانين العلوم الطبيعية، ويؤمن بأن انتظام الحوادث هو مفتاح التاريخ وأساسه معـاً. فالأفعال ترجع إلى بواعث والبواعث إلى سوابق، فإذا عرفنا مجموعة السوابق وقوانين حركاتها نستطيع بمقدار معين من الخطأ أن نتنبأ بمجموعة من نتائجها المباشرة. ذلك أن الحوادث التاريخية تحدث بكاملها بالفعل المتبادل بين الطبيعة وبين العقول البشرية. ويتساءل بكل: "أيهما له التفوق على الآخر الطبيعة أم العقول البشرية؟ فكان يجيب أن الطبيعة هي المتفوقة في مراحل التاريخ الأولى، ولكن هذا الوضع تطور حسب الشعوب"[4].

---

(1) رالف والدو إمرسون (1803–1882): أديب وفيلسوف وشاعر أمريكي. ولد في بوسطن ودرس في هارفرد كان أحد أبرز أعلام الفلسفة المتعالية في أوائل القرن التاسع عشر. وكان من دعاة الفردانية. (للمزيد: Allen, W., Waldo Emerson, New York: Viking Press).

(2) ويدجيري: المذاهب الكبرى، 238–240.

(3) هنري توماس بكل (1821–1862): مؤرخ انجليزي ،اشتهر بكتابه: تاريخ الحضارة في انجلترا . انتهج أسلوبا جديدا في عصره في كتابة التاريخ فوجه اهتمامه إلى دراسة الحضارة وعلاقات الناس العاديين بعضهم ببعض وأحوالهم الاقتصادية، بدلا من الاهتمام بالسياسة ترك مؤلفه أثرا بين المؤرخين لطريقة المؤرخ العلمية، حيث حاول أن يكشف عن قوانين التاريخ. (الموسوعة العربية الميسرة ،390).

(4) ويدجيري: المذاهب الكبرى، 268–270.

كذلك الفيلسوف وعالم الاجتماع هربرت سبنسر[1](1820-1903)كان يرى أن المجتمعات مثلها مثل الكائنات الحية، تتطور عبر الزمن مدفوعة بالحاجة إلى التكيف مع البيئة. حيث آمن بفكرة النشوء والارتقاء وحاول تطبيقها على حركة المجتمع والإنسان، فالمجتمع في نظره هو جزء من النظام الطبيعي للكون، والتطور الاجتماعي وتغيراته ليس سوى عملية تطورية عضوية يسميها التطور فوق العضوي، وقد كان سبنسر هو الذي أوجد مصطلح "البقاء للأصلح" لكي يصف قوة هذه الضغوط الانتقائية "فالتقدم إذن ليس صدفة، بل ضرورة" كما يقول سبنسر[2].

كذلك كان كارل ماركس[3] (ت1818م) صاحب التفسير المادي للتاريخ (التفسير الاقتصادي)، فقد تضمنت نظرته القول أن المجتمع يخضع لقوانين تشبه قوانين الطبيعة لا قبل للإنسان بتغييرها فهي كالقدر المحتوم والحرية هي"معرفة الضرورة"[4].

إلا أن إنجلز[5] Friedrich Engels (ت1895م) هاجم من أسماهم الماديين العوام الذين فهموا المادية بمعنى رد الظواهر الإنسانية إلى عوامل فيزيائية، مثل رد مظاهر الفكر

---

(1) سبنسر، هربرت: فيلسوف وعالم اجتماع انجليزي صاحب مذهب يستند الى التطور الطبيعي او النشؤ والارتقاء. (بيومي، محمد احمد: تاريخ التفكير الاجتماعي، القاهرة 200، ص162).

(2) بيومي: تاريخ التفكير الاجتماعي ،162-169؛ سايمنتن: العبقرية والإبداع والقيادة،211.

(3) ماركس، كارل (1818-1883)مؤسس الشيوعية وفيلسوفها من أصل يهودي ألماني درس القانون بألمانيا اضطهد في ألمانيا بسبب نشاطه الثوري فانتقل الى باريس حيث التقى فريدريك انجلز واصدرا معا الوثيقة الشيوعية الأولى المعروفة باسم البيان الشيوعي 1848هاجر إلى انجلترا حيث أقام بها حتى وفاته له عدة مؤلفات أهمها كتابه رأس المال.(صبحي: فلسفة التاريخ،221 حاشية1)

(4) كريب، إيان: النظرية الاجتماعية ،14.

(5) انجلز، فريدريك (1820-1895)اشتراكي ألماني شارك مع كارل ماركس في وضع أسس النظرية الاشتراكية وفي البيان الشيوعي الشهير (1848) اضطر إلى الإقامة الدائمة في انجلترا على اثر فشل ثورة 1848 كان من رجال الأعمال وساعد ماليا ماركس في التفرغ للبحث والدراسة ومن أهم كتبه معالم الاشتراكية العلمية. (انجلز، فردريك: اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة، ترجمة: احمد عز العرب، القاهرة1957م،ص3،4).

إلى عمليات كيميائية وفسيولوجية، معتبراً أن العيب هو في فهم أن المادية آلية، حيث أن العوامل المادية ليست مؤثرات حتمية ولكنها أفعال الإنسان وعلاقاته الاقتصادية مع الآخرين. وبهذا فإن المادية في الفكر الماركسي هي لفظة مرادفة للاقتصاد[1].

ثم ظهر المفكر الألماني الشهير اسوالد شبنجلر[2] Oswald Spengler (1880-1936) في كتابه تدهور الحضارة الغربية الذي فسر حركة التاريخ بموجب المماثلة بينه وبين الكائنات الحية الطبيعية، من حيث خضوع الحضارات والمرئيات لنظام الولادة والشباب والشيخوخة والموت. وخلص إلى نتيجة السقوط المحتم للحضارة الغربية، مما أثار ضده المفكرين الغربيين، وهي مجرد مماثلة لم يقدم فيها إثباتاً علمياً حول العلاقة بين الطبيعة وحركة التاريخ.

حيث كان ينظر أن للوجود صورتين إحداهما صورة الطبيعة والأخرى صورة التاريخ الذي يحكم المصير. وأدى ذلك به إلى نفي إمكانية دراسة التاريخ من خلال المنهج التاريخي التقليدي[3].

ثم قدم المؤرخ الإنجليزي أرنولد توينبي[4] Arnold Joseph Toynbee (ت1973م) نظرية التحدي والاستجابة في نشأة وسقوط الحضارات، التي أراد بذلك الرد

---

(1) صبحي: في فلسفة التاريخ ،227-229.

(2) اسوالد شبنجلر: مؤرخ ومفكر ألماني ، عاش حياة في غاية من العزلة فترة طويلة من حياته، أشهر كتبة تهور الحضارة الغربية، والذي سبب ضجة كبير في أوروبا آنذاك.(بدوي، عبد الرحمن : اشبنجلر، دار القلم، بيروت 1982 ، ص3 وما بعدها).

(3) ينظر: شبنجلر، اسوالد: تدهور الحضارة الغربية ،ترجمة أحمد الشيباني ، دار مكتبة الحياة، بيروت (د ت)، ص87 وما بعدها؛ عفت الشرقاوي: أدب التاريخ عند العرب ،76 وما بعدها؛ عبدالرحمن بدوي: اشبنجلر ،84، 85.

(4) ارنولد توينبي: مؤرخ انجليزي ولد عام1889 له العديد من المؤلفات منها تاريخ الحضارة الهلينية ومحاكمة الحضارة وغيرها، لكن أهمها كتابه : دراسة للتاريخ.(رأفت الشيخ: تفسير مسار التاريخ،193 وما بعدها).

على أطروحات شبنغلر Spengler، [1] (1880-1936) وملخصها باختصار شديد أن البيئة الطبيعية أو الظروف البشرية التي تتحدى الإنسان، تحدياً مناسباً، هي التي تسبب في قيام الحضارات، وليس البيئة السهلة لأن هذا التحدي يستثير قوى الإبداع في الإنسان أما سقوط الحضارات فينتج عن فقدان هذا التحدي، إضافة إلى عوامل أخرى.

ولهذا فإن تفسير قيام وسقوط الحضارات عند توينبي يأخذ في جزء كبير منه إلى البعد الطبيعي الفيزيائي، فالكوارث أو الصعوبات الطبيعية هي المحفز الفيزيائي للفعل البشري، أي المحفز الفيزيائي لصنع الحضارة[2].

وقضية منهج البحث التاريخي وعلاقته بالعلوم الطبيعية والفيزيائية شغلت كذلك كثير من المفكرين الغربيين، حيث اعتقد بعضٌ منهم إمكانية استعمال علم التاريخ لمناهج العلم الطبيعي وذلك تحت تأثير التقدم الذي حققته علوم الطبيعة والفيزياء منذ القرن التاسع عشر.

منهم المؤرخ الأمريكي ج. ب أدامس[3] George Burton Adams (1851-1925) كان من القائلين أن العلم التاريخي يجب أن يدرس من خلال منهج العلوم الطبيعية[4].

---

(1) اسوالد شبنغلر: مؤرخ وكمفكر ألماني ، عاش حياة في غاية من العزلة فترة طويلة من حياته، أشهر كتبة تهور الحضارة الغربية، والذي سبب ضجة كبير في أوروبا آنذاك.(بدوي : اشبنجلر، ص3 وما بعدها).

(2) أحمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ ،239 وما بعدها.

(3) جورج أدامس: مؤرخ عصور وسطى أمريكي، كان أستاذا في جامعة يايل، ترأس الجمعية التاريخية الأمريكية، له عدة مؤلفات منها: الحضارة خلال العصور الوسطى، تاريخ انجلترا. (هرنشو،ج: علم التاريخ، ترجمة عبدالحميد العبادي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة (د ت)،ص66).

(4) ويدجيري: المذاهب الكبرى،308 وما بعدها. كذلك على سبيل المثال المؤرخ ج ج زيرفي (1821-1892) الذي كان يقول أن جميع ظواهر التاريخ تخضع لمنهج قوانين السببية العلمية الدقيقة. (ويدجيري: المذاهب الكبرى،308).

ومع هؤلاء أنصار المدرسة المسماة التاريخ الجديد في أمريكا، الذين يعتقدون أن التاريخ يبنى في دراسته على معرفة وتنسيق مع العلوم المتنوعة مثل علم النفس وعلم الشعوب وعلم الطباع وعلم الاجتماع وعلوم السياسة[1].

أما البعد الطبيعي والفيزيائي في تاريخ الفكر الاقتصادي الغربي، فإن مدرسة الفكر الاقتصادي في فرنسا – الفيزيوقراطيين[2]– في القرن الثامن عشر أخذت ما يسمى بمذهب الطبيعيين في الاقتصاد وهو القول بسيادة دور الطبيعة في الاقتصاد. الذي يستند على أهمية الزراعة وتعاون قوى الطبيعة مع قوى الإنسان. فالطبيعة تعمل من تلقاء نفسها شهراً بعد شهر لقاء أيام معدودات يعملها الإنسان.

حيث الحبة التي تسفر عن سبع سنبلات في كل سنبلة مائة حبة. وهذه الإنتاجية المادية التي لا نظير لها في أنواع النشاط الاقتصادي الأخرى هي التي دفعت الطبيعيين إلى وضع الزراعة في مكانة عالية من النظام الاقتصادي.

على أن الطبيعيين ما لبثوا أن أدخلوا إلى نظريتهم الاقتصادية نظرية فلسفية تفصح عن إيمانهم بنظام طبيعي والتي تفترض علاقة محددة بين الطبقات المختلفة في المجتمع ودورة محكمة للثروة شبيهة بدورة الدم في جسم الإنسان. وهي لا تقف عند هذه المشابهة البسيطة

---

(1) ويدجيري: المذاهب الكبرى، 308 وما بعدها.

(2)الفيزيوقراطيين : مدرسة سادت الفكر الاقتصادي في فرنسا في منتصف القرن 18 يرون أن الأرض هي مصدر كل ثروة وان الزراعة وحدها هي التي تضاعف الثروة وما عاداها من أنواع النشاط لا يضيف ثروة جديدة ولذلك نادى اليزيوقراطيون بفرض الضرائب على ملاك الأرض وحدهم . وقالوا أيضا بوجود قوانين طبيعية تكفل سعادة البشر وان الدولة يجب ان لاتتدخل في سير هذه القوانين كذلك يقولون بمبدأ حرية العمل وهو, ما تقوم عليه فكرة الحرية الاقتصادية وقد اثر الفيزيوقراطيون تأثيرا عميقا في آدم سميث في كتابه ثروة الأمم.(الموسوعة العربية الميسرة ، 1346).

بـل تتعـداها إلـى الإيمـان بوجـود قـوانين طبيعيـة دائمـة، ظـاهرة بـذاتها، تحكـم المجتمـع الإنساني، كما تحكم السلوك الاقتصادي والاجتماعي.

هذه القوانين تكفل للإنسان السعادة إذا نظم نفسه على النمو الذي يواكب هذه القوانين. وبما أن القوانين الوضعية قد تحيد عن مقتضيات النظام الطبيعي، فتصبح بذلك عقبة في سبيل السعادة الإنسانية. وبالتالي فإن على الباحث الاجتماعي أن يكشف عن تلك القوانين والدعوة إلى العمل بمقتضاها.

وبهذا فإن ملخص نظرية الفيزيوقراطيين الفرنسية هي أن قوانين الطبيعة تحكم التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للإنسان[1].

وكانـت المدرسـة الطبيعيـة الفرنسـية في الاقتصـاد قامـت مناهضـة للمدرسـة التجاريـة الإنجليزية. ثم توالت بعد ذلك النظريات الاقتصادية وأبرزها فكر آدم سميث وجون كينز، اللذين ركزا على أهمية القيمة وطبيعة الدورة المالية.

كذلك كان الفكر الجغرافي في الغرب منقسماً على نفسه في علاقة الطبيعة بالإنسان. فكان بعض المفكرين يعتقدون بخضوع الإنسان الكلي للقوانين الطبيعية. ويسير معها في هـذا الاتجـاه مفكـرين أمثـال السـورت هنتجتـون[2] Ellsworth Huntington (ت1947م)، الذي كان يعتقد بتأثير عامل المناخ في قيام وسقوط الحضارات والدول. إلا أن المدرسة الفرنسية والتي تمثلت في لابلاش[3] La blach (ت1908م) رفضت ذلك التأثير الطبيعي وقالوا بحرية العقل الإنساني مع عدم إنكار آثار الطبيعة على الإنسان.

---

(1) النجار، سعيد: تاريخ الفكر الاقتصادي، دار النهضة العربية، بيروت 1973، ص57-69؛ جالبريت، جون كينيث: تاريخ الفكر الاقتصادي، ترجمة فؤاد فؤاد بليغ ، عالم المعرفة العدد 261،الكويت سبتمبر 2000،ص61 وما بعدها.

(2) هنتجتون، السورت: جغرافي أمريكي عمل في أبحاث تأثير المناخ على حياة البشر، من أشهر كتبه نبض آسيا. (الموسوعة المعرفية الشاملة، الكترونية، ص5815).

(3) بول فيدال لابلاش La Blach(1845-1918) : جغرافي فرنسي وأستاذ الجغرافيا في جامعة السوربون ، كان له تأثير كبير في تطوير علم الجغرافيا، وعن العلاقة بين الناس وبيئتهم الجغرافية. (الموسوعة العربية الميسرة، 1532).

أما بالنسبة لفكر علماء التاريخ الطبيعي، فقد سيطر عليه مذهبان رئيسيان هما: الفيزيكالية، والمذهب التطوري الذي قال به دارون.

يستند أنصار المذهب الفيزيكالي على أهمية العوامل الفيزيائية في صياغة التاريخ الطبيعي للكائنات الحية. مثل درجة الحرارة والرطوبة والضوء والماء، والكيميائية كدرجة الملوحة وتركيز النتروجين والفوسفور في الوسط المحيط بالنبات على سبيل المثال[1].

أما أنصار المذهب التطوري فإنهم يعتقدون أن الكائن الحي – بما فيه الإنسان – ونشاطه إنما هو نتيجة سلسلة تغيرات متوارثة كمحصلة لعوامل ثلاثة هي: حجم التغيرات الجينية السلفية ونوعيتها، والانتخاب الطبيعي الذي قاد إلى بقاء الأصل، ثم التنافس الذي كان السبب في استمرار بقاء الأقوى[2]. وبهذا لم يعد للنوع البشري ما يبرر تميزه عن عالم الحيوان الذي هو أحد مكونات الطبيعة، بل إن دراسة التاريخ التطوري للإنسان أصبحت أحد فروع العلوم البيولوجية التي هي بدورها شعبة من العلوم الطبيعية[3].

وقاد هذا الفكر بطبيعة الحال إلى ظهور علم جديد آخر هو علم بيولوجيا المجتمعات Sociobiology الذي تم تعريفه بأنه: "الدراسة المنظمة للأسس البيولوجية للسلوك الاجتماعي للكائنات الحية كافة"[4].وهو يهدف إلى دراسة إسهام التركيبة الجينية في تحقيق الفعل السلوكي. ولقي هذا العلم معارضة شديدة، وكذلك كان الحال مع ما سبقه من أطروحات الفكر التطوري.

---

(1) ماير، أرنست: هذا هو علم البيولوجية ،232-246.

(2) ماير، أرنست: هذا هو علم البيولوجية ،199.

(3) ماير، أرنست: هذا هو علم البيولوجية،227 وما بعدها.

(4) ماير، أرنست: هذا هو علم البيولوجية ،251.

وفي كل الأحوال أصبح هناك أكثرية من علماء التاريخ الطبيعي يؤمنون أن تركيبة أي جماعة إحيائية إنما هي نتيجة تفاعلات بالغة التعقيد بين عوامل مختلفة تاريخية وفيزيقية وحيوية.

ج) البعد الطبيعي والفيزيائي لحركة التاريخ في الفكر الشرقي:

يتميز الفكر الصيني القديم بكثير من التعقيد وعدم الوضوح، إلا أن أقدم ما استطاع الباحثون الوصول إليه في هذا الفكر هو ما يسمى بالطاو Tao والمعنى الحرفي للكلمة هو (النهج) وتتضمن في معانيها الانتظام في أطوار الطبيعة الذي كان يراه الصينيون القدماء في تتابع الفصول والنظام الضابط للنمو وذروة وهبوط الإنبات والتكرار المتماثل لحركة الأجرام السماوية. ومن خلال هذا الإيمان بالطاو كان الصينيون يشعرون في أنفسهم وكأنهم أجزاء من الطبيعة[1].

على أن الطاو في مفهومه الكلي هو جماع الأشياء كلها ومهيمن عليها وهو المطلق وتام بصورة كاملة وينتشر في جميع الجهات وليس للناس إلا الإذعان لنظام الطبيعة الكلي والتوافق معه.

ولهذا كان الصينيون يؤمنون أن للطبيعة أرواح، فالأنهار والأشجار ومعظم الأشياء لها روح، وأسمى الأرواح هو "تشانغ- تي الذي هو سيد السماوات.

ويفهم الصينيون الطاو من خلال المظهر الثنائي للطبيعة الذي يطلقون عليه ين Yin ويانغ Yang،والـ ين هو المتأثر السلبي نسبياً بينما الـ يانج هو المؤثر الفاعل وهو نظام الواحد يكمل الآخر، والوجود يقوم على نظام التعاقب المطرد لهما.

---

(1) ويدجيري: المذاهب الكبرى،10 وما بعدها؛ بنوا، لوك: المذهب الباطني في ديانات العالم، ترجمة: نهاد خياطة، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت 1998، ص98.

وبالتالي فإن الفرد يخضع لنظام الطبيعة الكلي من حيث أنه تارة تصف جهوده بالتأثر بالسلبية النسبية وتارة بالديناميكية الفاعلة. ونتيجة لذلك انساق المجتمع ككل لهذا الإطار من تأثير انتظام الطبيعة. وبالتالي فإن العقيدة الطاوية ترتكز على الخضوع التام والمطلق لإيقاع الين واليانغ العام، وهو الخضوع الذي يوصل إلى السكينة المطلوبة[1].

ونتيجة لهذا الفهم لطبيعة الكون وعلاقة الإنسان به، توصل تسو ين Tso Yen (القرن الثالث قبل الميلاد) إلى صياغة فهم دوري لحركة التاريخ وهي النظرة المستمدة من تكرار الدورات في الطبيعة.[2]

ثم تأتي بعد ذلك زمنياً الكونفوشيوسية[3] Confucianism التي تركزت تعاليمها أكثر على الجانب الأخلاقي للفرد إلا أنه مع ذلك فإن الكونفوشية والبوذية الصينية ، تسعيان إلى انجاز الانسجام والتوافق مع حركة موسيقى الأكوان الطبيعية والمجتمع.[4]

أما بالنسبة للفكر الهندي الديني الفلسفي البراهمي والبوذي فإنه يتركز حول الفرد، فالتاريخ هو تاريخ الأفراد، حتى يصلوا إلى الخلاص[5]، إلا أنه لم يخلُ من التأثر بأطوار الطبيعة، وهو الاعتقاد الدوري لحركة التاريخ، حيث تصبح كل دورة بحسب الإيمان البراهمي أربعة عصور، يونجاس Yongas ، العصر الأول يسمى كريتا Krita وهو العصر

(1) عطار، أحمد عبدالغفور: الديانات والعقائد في مختلف العصور، مكة المكرمة، (د ن)، 1401هـ/1981م، ج1ص161 وما بعدها؛ ويدجيري: المذاهب الكبرى،14 وما بعدها.

(2) ويدجيري: المذاهب الكبرى،14 وما بعدها.

(3) تنسب الى كونفوشيوس 551- 497 وتعاليمها تدعو إلى التواضع والأخلاق والطاعة .(حفني، عبدالمنعم: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة 2000، ص696).

(4) ويدجيري: المذاهب الكبرى،24 وما بعدها وما بعدها.

(5) ويدجيري: المذاهب الكبرى،62؛ ينظر أيضا: السواح، فراس: دين الإنسان، بحث في ماهية الدين ومنشأ منافع الدافع الديني، دار علاء الدين، دمشق، 2002م، ص251-252.

الذهبي، ويكون فيه كل شيء كاملاً، ثم يأتي بعده العصر الثاني تريتا Treta الذي تبدأ فيه بذور سقوط الفضيلة، والعصر الثالث دافابارا Dvapara تزداد فيه الخطيئة والأوبئة كما أنه تزداد فيه مظاهر الأبهة.

أما العصر الرابع وهو كالي Kali ويكون في نهاية الدورة وفيه يكون الدين مهملاً وتزداد المعاناة والألم فيه[1].

وفي جانب آخر يقترب المفهوم البراهمي للطبيعة من فكر الطاو الصيني في الين واليانغ، حيث تتمثل عملية الخلق في التأثير المتبادل بين المؤنث والمذكر، بين الشاكتي SHakti والشاكتا Shakta[2].

على ان البوذية الهندية لم تهتم بصيغة العالم الطبيعي وبعملياته المنتظمة المرتبطة بالتاريخ الإنساني، بل أنها نظرت إلى العالم الطبيعي وإلى الأفراد وحركة التاريخ أنهم مجرد أوهام في البراهمان وهو ما يسمى بالمايا[3].

إلا أنه قبل ثلاثمائة عام وصل فلاسفة الأوبانيشاد[4] إلى الاعتقاد أننا في أعمق أغوار وجودنا متحدون مع الطبيعة المطلقة للواقع، كما وصلت مدرسة السامخايا إلى القول بالنظرية السببية، حيث النتيجة موجودة مسبقاً في السبب. والقول أن النتيجة تنتمي إلى الجوهر نفسه الذي ينتمي إليه السبب لأن الواقع الموضوعي بأسره له نفس الطبيعة في نهاية

---

(1) ويدجيري: المذاهب الكبرى،48.

(2) ويدجيري: المذاهب الكبرى ، 58.

(3) ويدجيري: المذاهب الكبرى ،64 وما بعدها.

(4) المعني الحرفي للكلمة تعني الجلوس قريبا بخشوع، كذلك تعني السرية، او المذهب السري، وهي عبارة عن مجموعة من الكتابات الهندوسية التي تُسمى الفيدات جمع فيدا وتكوّن الأوبانيشاد جزءًا أساسيًا من مصادر الديانة الهندوسية، (للمزيد : زيان، عبدالسلام: الاوبنيشاد، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة 2008م).

التحليل. ولذلك فإن الصلة بين السبب والنتيجة قوامها الموضوعي هو نتيجة للتحولات المختلفة لمادة واحدة نهائية[1].

ثم قدم الفيلسوف الهندي المعاصر ساركار[2] Sarkar نظريته المسماة قانون الدورات الاجتماعية. وهي مستمدة من الاعتقاد البراهمي أن حركة التاريخ تمر بأربعة عصور، ونظرية ساركار تقول أن حركة التاريخ تخضع لقانون الطبيعة الكلي ذي الطبيعة الدورانية. وأن المجتمع ينقسم إلى أربع فئات أساسية حسب التكوين العقلي للأفراد وهي فئة المفكرين ورجال الدين وفئة المحاربين وفئة المتكسبين والتجار، وأخيراً فئة العمال الغير مهرة، وبالتالي فإن حركة التاريخ تسير ضمن نظام دوري بين هذه الفئات، فيكون هناك عصر حكم المفكرين ورجال الدين، ثم يسقط كحتمية طبيعية ويأتي بعده حكم التجار المتكسبين وهكذا. ويكتسب كل عصر صفاته وسماته من صفات وسمات الفئة الحاكمة.

وهذا النظام الدوري للتاريخ يرتبط ارتباط كلي بقوانين الطبيعة التي تحكم الكون[3].

رابعا: خصائص الكون الفيزيائي وعلاقته بحركة التاريخ:

كشف العلم الحديث عن جانب كبير وخصائص هامة من طبيعة الكون والوجود الذي نعيش فيه. منها على سبيل المثال:

(1) كولر، جون: الفكر الشرقي القديم، ترجمة كامل يوسف حسين، عالم المعرفة العدد199، يوليو 1995، ص32 وما بعدها.

(2) ساركار، برابهات رانجان ساركار: زعيم معاصر لطائفة هندية تدعى اناندا.

(أنظر: Wikipedia , Prabhat Ranjan Sarkar)

(3) باترا، رافي، الكساد الكبير في التسعينات، المتحدة للتوزيع، بيروت 1993، ص25 وما بعدها.

أ) خاصية توازن المتضادات والدوران:

توصل علم الفيزياء الحديث إلى أن العالم الذي نعيش فيه مكون من ذرات تشكل طبيعة المادة المخلوق منها هذا الكون. والذرات مكونة من الكترونات وبروتونات، وللذرة محيط وقلبها نواة Nucleus ويدور في محيطها في مدارات محددة أجسام خفيفة جداً – جسيم وموجة– ذات شحنة كهربية سالبة تسمى بالالكترونات، بينما النواة تتكون من بروتونات وهي أجسام ثقيلة نسبياً ذات شحنة كهربية موجبة، كما تتكون من نيوترونات وهي متعادلة من الوجهة الكهربية.

والبروتون يعادل وزن الإلكترون 1840 مرة، ووزن الذرة يتوقف على وزن البروتونات التي تكونها. كما تتوقف خصائص الذرة على الالكترونات ويتساوى عدد الالكترونات التي تدور في محيط كل ذرة مع عدد البروتونات الكامنة في نواتها.

وتحس الكائنات الحية المادة عن طريق تأثير الالكترونات والبروتونات في حواسنا. فالإحساس بالمادة وصف للتعبير عن هذا التأثير فيها، لأن البروتون والإلكترون في النهاية جسيمان كهربائيان متضادان في الشحنة. وهذا التأثير يحدث عن طريق الاهتزازات التي تثيرها الكترونات الأجسام الصلبة وبروتوناتها، فتحدث بدورها تأثيرها في الكترونات أجسامنا وبروتوناتها[1].

وهذه الخاصية، خاصية الدوران، استطعنا قراءتها في حركة التاريخ، في المنظومات الدورية لحركة التاريخ. حيث كشفت الدراسات التاريخية الحديثة أن المنظومة الدورية خاصية أساسية في حركة التاريخ.

---

(1) هدارة، سيد رمضان: الكون ذرة وحركة، دار العلم، القاهرة 1964، ص138 وما بعدها، عبيد، رؤوف: الانسان روح لا جسد، دار الفكر العربي، القاهرة1966ج1، ص27 وما بعدها.

أما خاصية التضاد المستمر المتوازن، فهذا أيضاً من الطبيعة الجدلية لحركة التاريخ. حيث يمثل التاريخ قصة صراع مستمر بين الأضداد. أراد هيجل تفسيرها بالصراع بين الفكرة ونقيضها. وأراد ماركس تفسيرها بالصراع بين الطبقات. وهكذا، فالتفسير الجدلي لحركة التاريخ من صميم محاولات الفكر التاريخي لتفسير طبيعة حركة التاريخ.

ب) خاصية الاهتزاز والتردد:

والمادة الفيزيائية عبارة عن اهتزازات بين حدين ثابتين استطاع العلم المادي تعيينهما. وهذه الاهتزازات التي تكون العالم الفيزيائي كله يتراوح مداها بين 34,000 إلى 64,000 موجة في البوصة الواحدة تمثل اهتزازات الطيف المنظور الذي يقع ما بين اهتزازات الأشعة دون الحمراء انخفاضاً والأشعة فوق البنفسجية ارتفاعاً. أما سرعة الاهتزاز بالثانية فإن العالم الفيزيائي يتراوح بين 750 مليون ذبذبة في الثانية و400 بليون ذبذبة فيها.

والاهتزاز خاصية عامة لكل درجة من درجات الوجود في الكون، والفارق الوحيد بينها هو في رتبة الاهتزاز التي يهتزها أي شيء في هذا الكون. ولا توجد قطعة من المادة في حالة سكون بل كل المادة متحركة.

ولأن كل شيء في الكون المنظور وغير المنظور يهتز أي يتردد فإن له طول موجة. ويتوقف خضوعه لحواسنا على درجة اهتزازه، وبالتالي على طول موجته. وتتساوى في ذلك الأجسام الصلبة مع السائلة مع الغازية. وقد استقرت الفيزياء الآن على أن للجسم الصلب رتبة اهتزاز وبالتالي طول موجة، ومثله اللون والرائحة والكهرباء والموسيقى. وكلما ازداد اهتزاز الشيء كلما كان رقيقاً وشفافاً.

فاهتزازات الغازات أسرع من اهتزاز السوائل؟ واهتزاز السوائل أسرع من اهتزاز المواد الصلبة[1].

(1) هدارة: الكون ذرة وحركة ،38؛ عبيد: الإنسان،27/1 وما بعدها.

ثم ظهرت نظرية الأوتار الفائقة، وهي النظرية التي يؤمل منها إنهاء الاختلاف الجوهري بين نظرية النسبية ونظرية الكوانتم في تفسير الكون. وملخص هذه النظرية أن العناصر الأولية للكون ليست جسيمات نقطية بل أوتار دقيقة في حالة اهتزاز جيئة وذهابا. فكل المادة وكل القوى في هذا الكون البديع تنشأ من مكون أساسي واحد هو الأوتار المتذبذبة، وما التنوع الكوني إلا في درجات الاهتزاز. ولذلك قيل إنه لا يوجد في الكون سوى الموسيقى.[1]

ولأجل ذلك يمكننا فهم أن مسرح التاريخ وصانعه-الإنسان- هو عالم ذو طبيعة اهتزازية تموجية. عالم يموج بأنواع عديدة من الذبذبات من ضوء إلى مغناطيسية إلى حرارة إلى كهرباء إلى ألفا إلى بيتا... تصدر من كل الأجسام ومن الأجرام السماوية تنعكس وتتكسر وتتقاطع وتتقابل بانتظام وبغير انتظام.

وهذه التموجية خاصية من خواص حركة التاريخ. يتمثل في صعود وهبوط الدول والحضارات. ولهذا فإن صعود أي نشاط إنساني ثم هبوطه هو قانون فيزيائي كوني.

ج) خاصية ثبات سرعة الضوء:

قدم ماكس بلانك M.Plank[2] (1858-1947) في عام 1900 نظريته العبقرية الكوانتم والتي حل بها إشكالية طبيعة الإشعاع والضوء. حيث كشف أن الطاقة والضوء ليس سيل Flow أو تيار Stream بل أن الطاقة والضوء يأخذ شكل كمات أو كوانتات (استخدم الكلمة اللاتينية كوانتم).

---

(1) غرين: الكون الأنيق، ص157.

(2) ماكس بلانك: عالم فيزيائي ألماني، المؤسس الأولي لنظرية الكم، حاصل على جائزة نوبل في الفيزياء النظرية عام 1918م. (للمزيد ينظر: Heilbron, J. L. The Dilemmas of an Upright Man: Max Planck and the Fortunes of German Science ,Harvard, 2000)

وكوانتم الضوء هو جزء صغير للغاية من الطاقة، وإدراكه صعب بقدر صعوبة إدراك الذرة. وهذه الكوانتم هي الوحدة الأولية للضوء والطاقة. يماثل الذرة التي هي الوحدة الأولية للمادة.

وبهذا فإن كل إشعاع – سواء ضوء أو طاقة – يخضع لتحكم أعداد صحيحة من وحدة الطاقة الأولية (الكوانتم). وكل عمليات الطاقة، سواء انبعاث أو امتصاص يتم عبر كوانتم واحد أو اثنين أو مليون كوانتم، لكن ليس جزءاً أو كسراً من الكوانتم، فالكوانتم بمنزلة ذرة الطاقة[1]. ووصل بلانك إلى معادلته الشهيرة التي حل بها إشكاليات الفيزياء الكلاسيكية، وهي أن: "مقدار وحدة الطاقة (حجم الكوانتم) يتوقف على طول موجة الإشعاع الذي ينتقل به الكوانتم، فكلما كان طول الموجة أقصر كان الكوانتم أكبر"[2]. وتمكن من التعبير عنه رياضيات بالمعادلة التالية: ط= هـ × د. حيث ط ثابت يرمز للطاقة و (د) للتردد، أما (هـ) فمعامل التناسب، وهو ثابت في جميع أنواع الطاقة المعروفة إلى الآن، ويسمى ثابت بلانك ويساوي 6.55×10^{-27}[3].

إن ثبات هذا الثابت أصبح أحد أهم أسس الفيزياء الذرية. وثباته مثار إعجاز للعقل البشري. ثم توالت بعد ذلك الأبحاث والاكتشافات، فتوصل العلماء إلى أن الضوء عبارة عن جسيم وموجة، وليس فقط جسيم أو ليس فقط موجة.

(1)الخولي: فلسفة العلم،179 وما بعدها؛ سكوت: جوهر الطبيعة،57؛ ديفيز، بول: اسطورة المادة، ترجمة علي يوسف علي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة1988، ص167. وللمزيد في الكوانتم ينظر: موسوعة الثقافة العلمية، دار الكتاب الجديد، القاهرة، 1976، ص390.

(2) الخولي: فلسفة العلم،183.

(3) الخولي: فلسفة العلم ،183.

كما أصبح الضوء أنقى أشكال المادة، وسقط الحاجز الذي كان بين الضوء والمادة إذ أنهما معاً ليسا إلا مظهرين مختلفين للطاقة، يمكن أن يأخذ أحدهما مظهر الآخر[1].

ومن أكثر سمات هذا الكون دلالة هو درجة انتظامه العالية. وهو منتظم بمختلف المستويات، ابتداء من التكوين الداخلي للمجرات والنجوم وفي القوانين الفيزيائية السائدة فيها ومقاديرها مثل شحنة الإلكترون مثلا وانتهاء بتوزيع المادة في هذا الكون. فالمادة في هذا الكون منتظمة على شكل نجوم والنجوم منتظمة على شكل مجرات والمجرات منظومة في زمر عديدة. ويعتقد بعض العلماء أن هذا التسلسل مستمر على نحو من التوالي إلى ما شاء الله.[2]

كما أن الإنسان يحتل حيزاً متوسطاً في السلسلة الصاعدة للبنى الكونية. حيث تعكس كل درجة صاعدة كبرا من القدر الخامس أي$10\times10\times10\times10\times10=100000$ ابتداء من نواة الذرة إلى الميتامجرة. وقوانين الطبيعة ثابتة بصرف النظر عن أحوال الراصد حسب تأكيد نظرية النسبية.[3]

د : إشكالية الالكترون، الكون حالة من الطاقة :

المعنى الفلسفي لقضية تغير حالة الالكترون من موجة إلى جسيم هو انها الحالة التي يبدأ فيها الوجود في التحول من الطاقة الكامنة الى المادة الظاهرة. أي ان أساس الوجود هو الطاقة وعند مستوى معين تبدأ بالتحول إلى مادة للظهور. ولأجل ذلك فالزمن على المستوى

(1) الخولي: فلسفة العلم ،192.

(2) ديفيس،ب.ك: المكان والزمان في العالم الكوني الحديث، ترجمة ادهم السمان، مؤسسة الرسالة، بيروت1988،ص161.

(3) فوق العادة، فايز: الذاكرة الكونية، أكاديميا انترنشونال، بيروت1995، ص70-76.

الجسيمي لا يسير في اتجاه واحد[1]. بل يتساوى في مستوى من مستويات الوجود الفيزيائي الماضي والحاضر والمستقبل[2]. وهي نفس خاصية عالم الروح حيث يفقد الزمن خاصية الاتجاه الواحد ويتساوى عنده الماضي والحاضر والمستقبل[3]. ولذلك بدلا من ان نسمي هذه الحالة للإلكترون ب اللا يقين او الا حتمية أو العشوائية نسميها بالحرية. وهي أيضا من خصائص الإلكترون. وهي إشكالية معقدة جعلت اينشتاين يقول[4]:" كل هذه السنوات الخمسين من التفكير العميق، لم تقربني من الإجابة على التساؤل عن ماهية كوانتا الضوء. الآن كل من هب ودب يعتقد انه يعلم الإجابة، ولكن الكل واهم". والسبب المحتمل في هذه الاشكالية هي ان الطاقة في ذلك المستوى لا تعيينية، عكس المادة. بل عند تجربة الالكترون المراقب يثبت انها طاقة ذكية. حيث بإمكانها تغيير سلوكها وليس مادة لا تعقل وذلك بسبب مراقبتنا لها [5]. وهكذا فإن وعينا لا يصنع الحاضر فقط بل الماضي أيضاً.[6]

وعلى ذلك هل نستطيع القول: إن الالكترون واخوانه من الجسيمات هو اول تجلي للوجود من عالم الروح أو الغيب الى عالم المادة. حيث يتمتع ببعض خواص عالم الروح.

---

(1) أومنيس: فلسفة الكوانتم، 267.

(2) روفيللي، كارلو: نظام الزمن، ترجمة : إيهاب عبدادايرلحميد، دار التنوير للنشر والتوزيع، (د، م)2019م، ص83.

(3) داير، واين: سوف تراه عندما تؤمن به، مكتبة جرير، الرياض (د.ت)، ص 65 وما بعدها؛ وهذا ما كان يؤمن به اينشتين. (هوفمان: اينشتاين، 269).

(4) هوفمان: اينشتين، 198.

(5) Chalmers, David , The Conscious Mind: In Search of a Fundamental Theory. Philosophy of Mind Series. Oxford University Press, USA,1996, pp. 156–157.

ويتلي، مارغريت: فن القيادة والعلم الحديث، اكتشاف الترتيب في عالم الفوضى، ترجمة سائر بصمة جي، دار علاء الدين، دمشق 2018م،ص78.

(6) ويتلي: فن القيادة، 79.

مثل الحرية والتي اسموها اللايقين أو اللا حتمية. واللا زمن إذ لا يوجد ماضي أو مستقبل على مستوى الالكترون. والجمع بين خاصية الجسيم والموجة، فتارة يأخذ خواص الجسيم وتارة يأخذ خواص الموجة. كذلك التواجد في مكانين مختلفين في نفس الوقت. هكذا الالكترون يجمع بين خاصية المادة وخاصية الطاقة اللا مادية، بل والتواجد "في مكان خفي يقع بين الوجود والعدم"[1]. أي بين عالم الظاهر وعالم الغيب. مما أذهل العلماء. ولايزالون منذهلين.

خامسا : قراءة نماذج تاريخية :

نستطيع الوقوف على بعض النماذج التاريخية التي تؤكد فرضية التأثير الطبيعي والفيزيائي لحركة التاريخ كعامل من العوامل الهامة في صنع الحدث التاريخي.

أ) اكتشاف الزراعة :

من المتفق عليه بين الباحثين أن اكتشاف الزراعة سبب تحول كبير في تاريخ الإنسانية، لأنه أخرج الإنسان من طور الصيد والرعي والتنقل بحثاً عن الغذاء، إلى طور الزراعة والاستقرار وإنشاء الحضارة والمدنية. وكان الإنسان في بحثه عن الغذاء يتتبع نبات القمح البري الذي كان بسبب تكوينه ينمو بشكل عشوائي مشتت حسب اتجاه الرياح إلى أن حدثت طفرة جينية أدت إلى تحول القمح من القمح البري إلى قمح هجين الذي بدوره تحول من القمح الهجين إلى قمح الخبز العادي[2]. فعرف الإنسان الدورة الزراعية أثناء هذه التحولات إذ أصبح القمح ينبت أسفل أسلافه. لتبدأ حضارة واستقرار ومدنية الإنسان. وبهذا فإن قوانين الطبيعة المادية هي التي حددت متى يعرف الإنسان الزراعة ويصنع حضارته.

(1) كاكو، ميشيو: كون أينشتاين، كيف غيرت رؤى ألبرت أينشتاين ادراكنا للزمان والمكان، ترجمة: شهاب ياسين، مؤسسة هنداوي، لندن2020م، ص117.

(2) برونو فسكي: ارتقاء الإنسان ،20-24.

وقد اختلف علماء القرن العشرين هل الاختراعات والاكتشافات حتمية، نتيجة لما يسمى بروح العصر على سبيل المثال. حيث حاول روبرت ميرتن[1] Merton,R (1942-1971م) إثبات ذلك من خلال دراساته عن الاكتشافات المتعددة التي توصل إليها اثنان أو أكثر من العلماء في نفس الوقت أو وقت متقارب. ووصل على أن هناك 264 اكتشافاً متعدداً، وبهذا فإن الاكتشافات غير المتعددة (الفردية) هي التي تحتاج إلى تفسير خاص[2].

وقد حاول دين سايمنتن إدخال أهمية عامل العبقرية في عملية الاكتشافات رداً على روبرت ميرتن فتوصل إلى دراسة نتيجتها أن لروح العصر والعبقرية الفردية دوراً يؤديه، لكنهما ليسا أكثر من عضوين يؤديان دوريين مساعدين في مسرحية إبداعية تلعب الصدفة فيها دور البطل.

والحقيقة أن العقلية الغربية تستخدم كلمة الصدفة عندما تعجز عن معرفة الأسباب الأخرى للحدث، متناسياً ما وصل إليه في دراسته عن النمط التشكيلي الشبه دوري لظهور المبدعين في حركة التاريخ[3].

ب) التاريخ التجاري والبحري:

يمثل النشاط التجاري والبحري جزءاً كبيراً من تاريخ وحضارة البشرية. وكانت التجارة الدولية تعتمد في جزء كبير منها على حركة الملاحة البحرية، والتي بدورها محكومة بقوانين الطبيعة المادية من فصول السنة وحركة القمر وحركة الرياح.

---

(1) روبرت ميرتن: عالم اجتماع أمريكي، من عائلة يهودية من أصل أوربي، درس في جامعة هارفرد، وحصل على الدكتوراه من الجامعة نفسها عام 1936وعمل أستاذا بها وبجامعة كولومبيا ومديراً لمركز الدراسات الاجتماعية المطبقة. (عمر، معن خليل: معجم علم الاجتماع المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان 2000، ص50).

(2) سايمنتن: العبقرية والإبداع والقيادة ،213.

(3) سايمنتن: العبقرية والإبداع والقيادة ،213،214.

أضف إلى ذلك أن حركة التجارة تخضع إلى طبيعة الإنتاج الزراعي والمعدني لكل منطقة، وبهذا فإن التاريخ التجاري والبحري برمته يخضع في جانب كبير منه لقوانين الطبيعة المادية والفيزيائية وتحكماتها.

جـ) دورات الانفجار السكاني:

تتضافر عوامل عديدة ومعقدة في صنع الحدث التاريخي، منها العامل السياسي والاقتصادي والاجتماعي والفردي والديني والجغرافي...الخ. ومنها العامل السكاني، الذي يعد عامل مهم في صنع التاريخ، ويظهر ذلك جلياً في الهجرات السامية وفي غزوات قبائل الهون[1]وفي غزوات القبائل الجرمانية[2]والمغول والأتراك[3]. وفي كل هذه التحركات الإنسانية الضخمة كانت تسقط ممالك وإمبراطوريات وتقوم ممالك وإمبراطوريات جديدة، وكان السبب الرئيسي فيها هو الانفجار السكاني مما يتسبب معه نقص الموارد الطبيعية وضيق العيش فتبدأ حالات الهجرة الضخمة.

---

(1) الهون: مجموعة من القبائل الرحل من شمالي آسيا الوسطى كانت معيشتهم في الغالب معيشة عسكرية قاموا بحملات منفصلة واسعة النطاق. ظهروا لأول مرة في القرن 3 ق . م ، عندما بني سور الصين العظيم لحصرهم ، احتلوا الصين من القرن الثلث وحتى581م. وحوالي 372م غزوا وادي الفولجا ، وتقدموا غربا دافعين القبائل الجرمنية أمامهم فبدئوا موجات الهجرات التي حطمت الإمبراطورية الرومانية واجبروا الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني 423م على دفع الجزية وجمع زعيمهم اتيلا من مقره في المجر الجزية من معظم وسط أوروبا وشرقها ،ولكنه هزم في عام 451م .وقتل بعدها وانسحب الهون بعد موته ولم يعرف إلا القليل عن حركاتهم فيما بعد .(ينظر على سبيل المثال: عاشور، سعيد: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة 1986، ج1ص91،90).

(2) الجرمان: مجموعة كبيرة من الشعوب في أوروبا أصل موطنهم شبه جزيرة سكندناوة ومحيط بحر البلطيق.شكلوا تقريبا شعوب السويد والنرويج والدانمارك واسكتلندا وألمانيا والنمسا وسويسرا وشمال ايطاليا وهولندا وبلجيكا ولوكسمبورج و شمالي ووسط فرنسا وسهل اسكتلندا وانجلترا ويتفق ظهورهم في التاريخ مع علاقاتهم بالرومان ولا يعرف عنهم الكثير قبل الميلاد. أدى نزوحهم إلى سقوط الإمبراطورية الرومانية على أيديهم (ينظر على سبيل المثال: عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، 75/1 وما بعدها).

(3) الأتراك :اصطلاح يطلق على الشعوب التي تتكلم اللغة التركية وهم موزعون من شرق سيبيريا الى الدردنيل يربطهم الإسلام واللغة برباط وثيق، واكبر الظن أن الترك الأصليين عاشوا أصلا في جنوب سيبيريا وفي تركستان وتوسعوا جنوبا وغربا وأقاموا إمبراطوريات عدة في آسيا كإمبراطوريتي الأتراك السلاجقة والأتراك العثمانيين (الموسوعة العربية الميسرة ،505).

فما هي إذن العوامل الصانعة للانفجار السكاني؟ يشير أحد الباحثين في معرض حديثه عن أهمية العامل السكاني للتاريخ إلى دورات انفجار سكاني. ملخصها أن وفرة الغذاء تؤدي إلى ازدياد عدد السكان ويؤدي ذلك إلى نقص الغذاء، فيسبب ذلك إلى نقص السكان من جديد، ونقص السكان يسبب وفرة الغذاء، وهكذا وهي دورة ليست منتظمة بشكل آلي ولكن يمكن ملاحظتها بوضوح(1).

ونستطيع أن نقدم مثلاً حول تأثير الغذاء على حجم السكان من إيرلندا حيث تضاعف عدد السكان ثلاث مرات بسبب إدخال زراعة البطاطا(2).

والعلاقة بين السكان والغذاء ليست بعيدة عن الفكر الاقتصادي. حيث أقام توماس مالثوس Malthus (3) (ت1838م) نظريته الاقتصادية على العلاقة التي تقوم بين السكان والغذاء، موضحاً تأثيرات حجم السكان على آليات الاقتصاد العام وخضوعه للقوانين الطبيعية والبيولوجية وتنبأ إلى حد ما بموانع تتطابق مع نظرية دورات الانفجار السكاني التاريخية(4).

---

(1) لافون، روبرت: التاريخ، ترجمة نادية قباني، سلسلة قضايا الساعة، شركة ترادكسيم، جنيف 1977، 85-94.

(2) غارودي، روجيه: العولمة المزعومة، تعريب محمد السبيطلي، دار الشوكاني للنشر والتوزيع، صنعاء،1998، ص161.

(3) مالثوس، روبرت: رجل دين وباحث اقتصادي انجليزي، تأثر بماكينز وبدارون، اشتهر بنظرية النمو السكاني وارتباطه بالزراعة. (Wikipedia, Malthus) .

(4) النجار: تاريخ الفكر الاقتصادي، ص128 وما بعدها؛ الشرجبي، عبدالباري: محاضرات في مبادئ الاقتصاد، دار الفكر، صنعاء 1996، ص17 وما بعدها. وعن نقد هذه النظرية ينظر: الجندي، أنور: أخطاء الفلسفة المادية، دار الاعتصام، القاهرة 1979، ص19. كما أن هناك نقد لهذه النظريات على اعتبار أن المجاعات المعاصرة والمحتملة ليست بسبب تزايد السكان ولكن بسبب النظام الرأسمالي المحتكر بواسطة الشركات الكبرى وكبار الملاك. (للمزيد ينظر: فرانسيس مولاربيه، وجوزيف كولينز:صناعة الجوع ، خرافة الندرة ، ترجمة احمد إحسان، الكويت1983،ص17 وما بعدها؛ غارودي، روجيه: العولمة المزعومة ، تعريب: محمد السبيطلي، دار الشوكاني للنشر والتوزيع، صنعاء1998 ،ص11 وما بعدها). ويذكر جارودي ان مالثوس كانت تنفق عليه شركة الهند الغربية حتى يبرر عبر نظريته جرائمهم ضد السكان المحليين. (ينظر: جارودي، روجيه: حوار الحضارات، ترجمة عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت 1982م، ص59).

وليس الإنسان فقط الذي يخضع لدورات تزايد الأعداد، بل بعض الحيوانات أيضـًا، والتي تمكن العلم من رصدها. فمثلاً صغار القوارض القطبية تتزايد أعدادها في دورات تتكرر كل ثلاث أو أربع سنوات، وكذلك الحال بين مفترساتها. أما الأرانب البرية فإن دورة تكاثرها تتكرر كل تسع سنوات إلى عشر سنوات، متزامنة في هذا مع دورة تكاثر مفترساتها أيضـًا[1]. والعلاقة الترابطية بين دورات تكاثر المفترس والمفترس به يوضح أهمية دور الغذاء في دورات التكاثر. ومن المعلوم في علم البيئة أن تركيبة ونشاط أي جماعة إحيائية هي نتيجة تفاعلات بالغة التعقيد بين عوامل مختلفة من ضمنها العامل الفيزيائي والإحيائي[2].

وربما يكون تغير حجم السكان الدوري هو التفسير المقنع لنتائج دراسة سايمنتن حول النمط التشكيلي الشبه دوري لظهور المبدعين في حركة التاريخ[3].

د) نهر النيل وتاريخ مصر:

إذا كنا ننظر إلى التاريخ الإنساني على أنه مجمل الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والفكرية لشعب ما في فترة زمنية معينة. فإننا من هذا المفهوم نستطيع القول إن نهر النيل كان يصنع تاريخ مصر بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، فكانت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والحياة العامة ترتبط ارتباطـًا تامـًا بمستوى جريان نهر النيل. وهناك دراسة موسعة حول الموضوع قدمها جمال حمدان[4] (ت1993م) بكتابه شخصية مصر، عبقرية المكان[5].

---

(1) ماير: هذا هو علم البيولوجية، 241.

(2) ماير: هذا هو علم البيولوجية، 251.

(3) سايمنتن: العبقرية والإبداع والقيادة، 213-214.

(4) جمال حمدان: جغرافي مصري ولد عام 1928م حصل على الدكتوراه في الجغرافيا وعمل أستاذ جامعي. (حمدان، حمدان: مختارات من شخصية مصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994م، ص528).

(5) ينظر أيضاً: سعيد، رشدي: نهر النيل، دار الهلال، القاهرة 1993؛ قاسم، عبده قاسم: دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، عصر سلاطين المماليك، دار الشروق، القاهرة 1983؛ الحجي، حياة ناصر : أحوال العامة في حكم المماليك، جامعة الكويت، الكويت 1984. نبه حمدان إلى أهمية فهم روح الجغرافيا في دراسة المكان وليس فقط الدراسة

هـ) انهيار الإمبراطورية الرومانية:

اختلف المؤرخون حول العوامل المسببة لسقوط الإمبراطورية الرومانية القديمة، وتعددت النظريات في ذلك. ولكن من أهمها نظريات ذات بعد طبيعي وفيزيائي. أولها نظرية السورت هنتجتون وملخصها أن تغيرات المناخ والجفاف في وسط آسيا وشمال أوروبا كان هو العامل المهم في تحرك القبائل البربرية صوب الإمبراطورية الرومانية وإسقاطها.

والنظرية الثانية تقول إن إنهاك التربة في إيطاليا والولايات التابعة لها حولها إلى مراع. ثم إن المراعي تحولت إلى أراض جدباء. وبهذا فإن الإفلاس الزراعي هو الذي أنهى حياة الإمبراطورية الرومانية.

وثالث هذه النظريات تشير إلى أن نضوب الذهب من الإمبراطورية نتيجة التبادل التجاري مع الآخر لاستيراد العاج والتوابل والمجوهرات أفضى إلى تقليص العملة وانخفاض الأسعار وافتقار الموارد الأساسية مما تسبب في الانهيار الاقتصادي للإمبراطورية التي كان اقتصادها اقتصاداً طبيعياً يقوم على الإنتاج الزراعي والمعدني.

أما النظرية الرابعة فهي التي تقول إن سبب انهيار الإمبراطورية الرومانية كان نتيجة لتناقص السكان الرومان المستمر أمام العناصر الأخرى وأهمها العنصر الجرماني. أي أن العامل السكاني هو الذي أسقط الإمبراطورية الرومانية[1].

وعلى ذلك فإن كل هذه النظريات في مجملها تؤكد أن العامل الاقتصادي والفيزيائي صانع أساس في حركة التاريخ.

التقريرية للجغرافيا مما أضاف بعدا جديدا لفهم الجغرافيا مع التاريخ. (ينظر حمدان، جمال: شخصية مصر، دراسة في عبقرية المكان، دار الهلال، القاهرة (د.ت)، ج1ص14 وما بعدها).

(1) اليوسف، عبدالقادر أحمد: العصر الوسيط الأوروبي، المكتبة العصرية، بيروت 1967، ص13 وما بعدها.

و) ظهور الإنسان العاقل:

أشارت دراسات ما قبل التاريخ وتطور الجنس البشري إلى تزامن واتفاق اختفاء الإنسان المنتصب القامة وظهور الإنسان العاقل مع تغيرات مناخية رئيسة شملت القارة الأفريقية مثلما شملت بقية العالم. إذ اتفق هذا مع آخر الموجات الجليدية التي ظهرت منذ سبعين ألف سنة، حيث أصبح جزء كبير من شمال وشرق أفريقية أكثر رطوبة، فانتشرت الأشجار والحشائش في أراضي تغطيها الحشائش أو الصحاري حالياً. هذه التغيرات الكبيرة في المناخ أثرت بلا شك في الحياة النباتية والحيوانية، ولابد أن العصر الجليدي قد واجه الإنسان المنتصب القامة والإنسان العاقل بصعوبات وتطورات خطيرة للغاية. من أهمها اختفاء الإنسان المنتصب القامة- الذي وجدت آثاره- وظهور الإنسان العاقل الذي أطلق عليه في أوروبا إنسان نياندر تال، وفي أفريقيا إنسان روديسيا[1].

ز) الكوارث صانعة التاريخ:

كلنا يكره الكوارث بمختلف اشكالها الطبيعية او الإنسانية، لكن الكوارث هي صانعة التاريخ لأنها تحفز الانسان وتثير طاقة الانسان للتحرك والعمل. بحسب فرضية النبض الكلي هي محفز للطاقة، فلولا الكوارث والجفاف الذي ضرب وسط آسيا وشمالها ما تحركت قبائل الهون وغيرها صوب أوروبا صانعة أحد أكبر هجرات التاريخ، هجرة القبائل

(1) سعودي، محمد عبدالغني: قضايا أفريقية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد34، الكويت أكتوبر 1980،ص14-16. وللمزيد عن أحدث الأبحاث حول نظرية التطور: (أ. تترسول: لم نكن وحدنا فيما مضى، مجلة العلوم ، العدد 6 ، الكويت، سبتمبر 2000، ص24-31) وعن نظرية ابن خلدون في التطور التي سبق بها داروين. (ينظر: الخضيري، زينب: فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت 1985، ص87-95) وفي نقد نظرية التطور نفسها (ينظر: محمد، يحيى: الدروانية ،186 وما بعدها).

الجرمانية وسقوط الإمبراطورية الرومانية. وكل الهجرات الكبرى كانت نتيجة الكوارث الطبيعية من الجفاف ونقص موارد الغذاء والانفجار السكاني وهي الهجرات التي اسقطت دول وحضارات واقامت دول وحضارات.

خلاصة واستقراء: الطاقة الكونية وحركة التاريخ:

كان المنهج التفسيري للباحث في هذه الفرضية هو استقراء النظريات الحديثة للتفسير الفيزيائي للكون، والتي دلت على ان هذا الكون هو شكل من اشكال الطاقة المتعددة الظهور والاشكال. وبالتالي فإن حركة التاريخ- التي هي فعل النشاط الانساني- ما هي إلا سياق حركي للطاقة سواء في صعود الحضارات او سقوطها.

وبدا لنا واضحا في هذا البحث الانسجام والتناغم بين الكون والإنسان، وثبت تأثير العامل الطبيعي والفيزيائي في حركة التاريخ كطاقة متعددة الاشكال والظهور. وتبين لنا بما لا يدع مجالا للشك أن الإنسان هو جزء لا يتجزأ من هذا الكون البديع، بدءا من الحركة النبضية للإلكترون والفوتون وحتى السلسلة الغذائية للمخلوقات التي تعتمد أساسا على المنظومة الضوئية.

لكن ما هو طبيعة هذا التأثير وهل هناك قانون أو مسار محدد يحكمه؟

هل هناك قانون عام يحكم الكون والإنسان والتاريخ؟ هل هناك قانون يجمع بين قوى الطبيعة الأربع والإنسان والتاريخ؟

من ناحية حركة الفلك مثلا فان حركة التاريخ عبارة عن حركة الزمن، والزمن هو سرعة الضوء - كما أثبتت النظرية النسبية فالمؤشر الزمني هو المؤشر الضوئي - والضوء هو حركة الكوانتم - جسيم وموجة- الذي يسير في سرعة ثابتة لا تتغير في كل الظروف- ما عدا وجود الأوساط- وثبات سرعة الضوء أحد الإعجازات التي يذهل أمامها العقل البشري،

فما الذي يجعل سرعة الضوء ثابتة بهذه الدقة الإعجازية؟ وإذا كان الكون محكوم بحركة منتظمة ابتداء من حركة الكوانتم وانتهاء بمسقطات الضوء علينا الشمس والقمر، فإن ذلك يعني أن الإنسان يخضع لمؤثر ثابت شديد الصرامة. وهكذا نستطيع أن نصل إلى المعادلة البسيطة التالية حسب المنطق الرياضي: حركة التاريخ هي حركة الزمن وحركة الزمن هي سرعة الضوء ، -كما أثبتت النظرية النسبية- وسرعة الضوء حركة منتظمة -كما أثبتت نظرية الكوانتم- إذن حركة التاريخ حركة منتظمة ، لكن يصعب علينا في كثير من الأحيان إدراكها، وهذه الصيغة الرياضية التي تؤكد البعد الفيزيائي للتاريخ ربما هي التفسير الوحيد لانتظام حجم الكتلة النقدية في الولايات المتحدة على سبيل المثال. والاجابة على أسئلة مثل: لماذا حركة الفراشة ذات طابع هندسي؟ ولماذا الضوء عبارة عن كمات او رزم طاقة وليس سيالا واحدا؟ ولماذا الالكترونات والجسيمات تحكمها حركة موجية؟ ولماذا تتوازن القوى في الذرة وفي المجرة؟ ولماذا التاريخ الاقتصادي يسير ضمن دورات منتظمة من الانتعاش والركود؟ ولماذا توجد دورات منتظمة للتاريخ السياسي للغرب بحسب اكتشاف جورج مودلسكي مدتها مئة عام؟ ولماذا التقدم العلمي في العصور الحديثة على شكل متوالية هندسية[1]؟ ولماذا أصبح النمو السكاني أسيا في آخر مائتي سنة؟ ولماذا اللف spin هو سمة حركة الاجسام من المجرة وحتى جسيمات الذرة؟

نستطيع القول بوجود قانون كلي عام هو قانون حركة النبض الكلي (تردد كلي) الحاكم للكون والتاريخ والإنسان. حركة نبض كلي لا يفلت منها شيء كبير أو صغير في هذا الوجود يأخذ شكل الدوران للإلكترون ويأخذ شكل ولادة النجوم وموتها، ويأخذ شكل قيام الحضارات وسقوطها. وهو نبض منتظم يترتب عنه حركة منتظمة ابتداء من انتظام

(1) كاكو، ميشو وتيرنر، جينيفر: ما بعد اينشتاين، البحث العالمي عن نظرية للكون، ترجمة: فايز فوق العادة، اكاديميا انترناشيونال، بيروت 1991م، ص223.

سرعة الضوء وهو الأعجوبة الكبرى في هذا الكون، وانتهاء بانتظام سرعة دوران الأرض حول الشمس، في تناغم وانسجام مدهش. وهذا ليس تفسيرا آليا للكون والتاريخ. لكنه كون يتسم بالحياة والنبض وكل ما فيه يتسم بهذه الخاصية. نبض لكل مستويات الوجود، الوجود الذي هو عبارة عن مستويات متدرجة من الطاقة، بما فيها المادة التي هي شكل من أشكال الطاقة(1) المحكومة بهذا النبض. وعلى ذلك فقيام الحضارات الإنسانية ما هو إلا تكتل لشكل من أشكال الطاقة، وانهيارها ما هو إلا تبدد هذه الطاقة لكن بحسب قانون النبض الكلي العام الحاكم للإنسان والكون والتاريخ. والدولة هي تموضع للطاقة في هذه الحضارة. فالدولة هي اظهر شكل للطاقة الإنسانية في التاريخ. وبما أن ليس كل الدول في التاريخ هي دول خير وحضارة راقية وجمال، فهناك دول شر وتدمير وخراب وأنانية وسفك دماء. كذلك الصراعات ضمن الدولة نفسها. كذلك الطاقة ليس كلها طاقة ايجابية، بل هناك طاقة سلبية مدمرة(2). وإذا كانت حركة التاريخ في كثير من نواحيها هي حركة صراع وتمثل ذلك في حروب تملأ تاريخ الإنسانية، فإن السؤال الفلسفي الكبير هو **لماذا الحروب**؟ والاجابة عليه هي: لأن طبيعة الحياة هي الصراع بين الخير والشر أو الإيمان والكفر أو بين الشر والشر لتحقيق الرغبات، وعلى ذلك فإن حركة التاريخ هي حركة الصراع بين الطاقة الايجابية البناءة والطاقة السلبية المدمرة. فالحرب هي تصادم طاقات. اصطدام طاقة رغبة مع طاقة رغبة أخرى. وهذا الاصطدام إما ان يستنزف الطاقة او يقويها. وأحيانا تكون كلمة اهتزاز كلمة غير معبرة. مثل الذي يصف حركة قلب الانسان أنه يهتز. إنها حركة نبضية، والكون ليس مجرد درجت من الاهتزازات بل درجات متعددة من النبض الكلي.

---

(1) سكوت: جوهر الطبيعة، 47.

(2) من مظاهر الطاقة السلبية على سبيل المثال الأمراض أو الأوبئة.

وهذا هو التوازن بين المتضادات الذي يقوم عليه هذا الكون الأعجوبة الرائعة للخالق البديع. فحركة النبض هي الحاكمة لحركة الجدل نفسها في صراع المتناقضات ونسيج الاضداد أي أن توازن الطاقة هو المبدأ الذي يقوم عليه نسيج الاضداد ويقوم عليه الكون ويسير به التاريخ. "وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا ۗ " الحج 40.

كيف تولد الحضارات والدول:

اختلف المؤرخون وفلاسفة التاريخ حول موضوع كيف تقوم الحضارات والدول؟ وقامت نظريات تاريخية وفلسفية عديدة للإجابة على هذا السؤال. بحسب نظرية النبض الكلي والطاقة الكونية للتاريخ فإن ولادة الحضارات والدول تكون بولادة روح جديدة وطاقة جديدة وهو ما يتمثل في التقاء أو تلاقح عدة عوامل اساسية. **اولا: الانفجار السكاني.** فقيام الحضارات والدول كان روحه ومظهره والملازم له هو الانفجار السكاني. ولم نشاهد ولادة حضارة أو دولة وهي تعاني من نقص عدد السكان. واسباب الانفجار السكاني ثلاثة: توفر الغذاء يؤدي إلى انفجار سكاني كما رأينا سابقا. وعامل آخر يساهم في حدوث الانفجار السكاني هو الاحساس بالتحدي الذي تشعر به جماعة ما او شعب ما، فتكون ردة الفعل في التكاثر. وفي هذه الجزئية تتوافق هذه النظرية مع نظرية التحدي والاستجابة لتوينبي. والسبب الثالث هو الدورة الطبيعية للتكاثر السكاني بين العلو والانخفاض، والتي تخضع لها تقريبا كل الكائنات الحية كما رأينا سابقا ضمن حركة النبض الكلي.

والعامل الثاني في قيام الحضارة هو وجود وتوفر القوة الاقتصادية والمالية وهي طاقة هائلة، فكثير من الحضارات والدول قامت بسبب وجودها على طرق التجارة الدولية مما وفر لها قوة طاقة المال والاقتصاد. وهذا العامل يرتبط بعامل الانفجار السكاني، حيث

يكون وفرة المال وقوة الاقتصاد عاملا في توفير الغذاء وبالتالي تحقق انفجار سكاني. وبالنسبة لأوروبا كان نهب خمس قارات طيلة فترة خمسة قرون خلال فترة الاستعمار عاملا مهما في امتلاكها عنصر المال وقوة الاقتصاد الذي حقق لها ازدهارا ونشاطا علميا وثقافيا وزخم في كل مناحي الحياة. كذلك حققت لها النهضة الصناعية واكتشاف آلة البخار المزيد من الثروات وامتلاك المال وقوة الاقتصاد.

اما **العامل الثالث**: فهو قيام قوة عسكرية ذات امكانات قوية، تستطيع فرض وجود الحضارة وحمايتها من الاخطار الخارجية والداخلية. وهي التي عبر عنها ابن خلدون بقوة العصبية.

وكل هذا تمثله الآيات الكريمة:" وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (6)". الاسراء. وقوله تعالى:" أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (133) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (134)" .الشعراء.

والعامل الرابع ظهور زعامة وقيادة قوية تستطيع توحيد الجماعة وتقودها لتأسيس الدولة والحضارة. مصداقا لقوله تعالى: وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (247)". البقرة.

والعامل الخامس هو في وجود الدافع المعنوي او الروحي. اما من خلال عقيدة دينية، او عبادة لزعيم او قائد والايمان به والاعتقاد فيه. وهو الذي اسماه ابن خلدون الدعوة الدينية.

والعامل السادس: هو في قوة البناء النفسي المشترك بين أفراد هذا المجتمع. وهو الذي اسماه ابن خلدون عنصر البداوة، والذي يتضمن قوة الترابط بين اهل العصبية الواحدة، وكذلك من سماته حسد أهل البداوة لأهل المدينة فيشكل ذلك دافعا لهم لغزوهم. ويختلف البناء النفسي بين كل حضارة وحضارة.

فإذا كانت هذه عوامل وأسباب ولادة الحضارات والدول فإن موت الحضارة والدولة بفقدان هذه العوامل الستة، أو واحد منها، مثل فقدان الأهمية الاقتصادية والقوة المالية للدولة، أو تناقص عدد السكان بشكل كبير، أو ضعف ووهن القوة العسكرية مما يؤدي إلى تعرضها للغزو والتدمير. أو سقوطها في صراعات داخلية مدمرة يعرضها للتمزق نتيجة فقدان القيادة الموحدة للجماعة. او انتهاء وفقدان الدافع المعنوي وضعف الدافع الديني. أو فقدان الخصائص النفسية لأفراد المجتمع. مثل فقدان عنصر البداوة.

الحضارة= انفجار سكاني+ قوة المال والاقتصاد+ قوة عسكرية+ شخصية قيادية+ دافع معنوي+ سمات نفسية معينة.

الحضارة (طاقة كبيرة)= انفجار سكاني (رافد من الطاقة)+ قوة المال والاقتصاد (رافد من الطاقة)+ قوة عسكرية (رافد من الطاقة)+ شخصية قيادية (رافد من الطاقة)+ دافع معنوي أو ديني (رافد من الطاقة)+ طبيعة نفسية (رافد من الطاقة).

الحضارة المعاصرة في ضوء فرضية الطاقة الكونية :

الحضارة المعاصرة ليس لها مثيل في التاريخ في قوة زخمها ونشاطها وانتاجها الصناعي والتكنلوجي وحتى الزراعي وكذلك الاستهلاكي، وهذا النشاط الإنساني المتعدد يصدر ويصعد عنه طاقات كبيرة ومتعددة لكنه للآسف جزء كبير منه طاقة سلبية مدمرة، سواء طاقة منظورة على مستوى افساد البيئة الذي نتج عنه تغيرات كبيرة في المناخ الكوكبي، او طاقة غير منظورة ولكنها أيضا سلبية خطيرة ومدمرة، مثل ما يصدر عن الإباحية والشذوذ الجنسي والحروب والاستغلال المالي والظلم الاجتماعي والاقتصادي بمختلف اشكاله. كل ذلك ينتج عنه طاقة يرفضها كوكب الأرض لأنها تخالف وتضاد انسجامه الكلي وتناسقه الذاتي وتوازنه الدقيق. وبالتالي تعود الطاقة السلبية وترتد على

شكل فيضانات أو أوبئة وأمراض متعددة الاشكال أو زلازل، أو انهيارات اقتصادية في محاولة للطاقة الكونية الأرضية تنظيف نفسها من هذه الملوثات غير المنسجمة مع الطاقة الكونية المرتبة والنظيفة والمتجددة. ولهذا الأرض الان تئن وتعاني من هذا النشاط الإنساني المدمر والذي يجب ان يتوقف. او ان الأرض سوف تنظف نفسها منه.

خاتمة:

النظرية هو ما يمكن إثبات عكسه، أي ليست حقيقة مطلقة لا يمكن نقضها. والبعض يفضل إطلاق اسم فرضية حتى يتم التأكد منها بالتجربة. وتنطلق هذه الفرضية من التفسيرات الفيزيائية الحديثة للكون وللعالم وللوجود، مثلها مثل أي نظرية فلسفية في تفسير التاريخ، فالتفسير الفيزيائي للكون والتاريخ أن الكون عبارة عن منظومة كهربائية (منظومة من الطاقة) تتحرك وتسير عبر التضاد المتوازن، فالتدافع والتضاد المسيطر عليه من قوة أعلى طبيعة أساسية في الكون وفي التاريخ. إن هذا الكون بكل ما فيه ليس سوى موسيقى بديعة للخالق العظيم. وإن التنوع والاختلاف هو جزء أساسي من هذه الموسيقى والمعزوفة الكونية الرائعة. وما بين التفرد والتجانس وبين الوحدة والتنوع واختلاف الترددات والاهتزازات تنطلق العلاقة المعقدة بين الكون والتاريخ. وبين الوجود الحي أو الطاقة الفاعلة وبين الإنسان الحر المسئول، في علاقة تفاعلية متبادلة نتج عنها تراث التاريخ الإنساني الهائل بكل ما فيه من جوانب ايجابية أو سلبية.

ولابد من الإشارة إلى أن هذه الفرضية ليست تفسير مادي للتاريخ بل كشف عن طبيعة حركة التاريخ ذو النبض الكلي الذي لا يصدر إلا من حي قيوم يهب الحياة والقيومية لكل ما في الوجود في كل حين وثانية. ضمن قانون انسجام وتوازن كلي بديع للكون كله. كذلك تجمع بين نظرية هيجل القائلة ان مسار التاريخ تحكمه روح كلية ونظرية شبنجلر القائلة ان كل حضارة لها روحها الخاصة بها. ونظرية توينبي في التحدي والاستجابة، حيث تشير هذه النظرية الى الطاقة الكونية الكلية التي تنبثق منها تيارات طاقية تظهر تشكل الحضارات الإنسانية المتعددة الظهور. لكن يظهر لنا سؤال كبير آخر وهو ما هو المصدر الحقيقي الطاقة نفسها؟

المصادر والمراجع:

1. أشتور، أ: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة عبد الهادي عبلة، دار قتيبة، دمشق 1985.
2. الجندي، أنور: أخطاء الفلسفة المادية، دار الاعتصام، القاهرة 1979.
3. باترا، رافي: الكساد الكبير في التسعينات، مؤسسة الرسالة، بيروت 1993م.
4. برونو فسكي، ج: ارتقاء الإنسان، ترجمة موفق شخاشيرو، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عالم المعرفة 39، الكويت 1981.
5. بشارة، جواد: الكون الحي بين الفيزياء والميتافيزياء، الطبعة الالكترونية الأولى.
6. بقصمي، ناهدة: الهندسة الوراثية والأخلاق، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عالم المعرفة 174، يونيو 1993.
7. تايلور، بيتر وفلسنت، كولن: الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عالم المعرفة 282، يونيو 2002م.
8. تترسول: لم نكن وحدنا فيما مضى، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، مجلة العلوم، العدد 6، الكويت سبتمبر 2000.
9. جارودي، روجيه: حوار الحضارات، ترجمة عادل العوا، بيروت 1982م.
10. حمدان، جمال: شخصية مصر، دراسة في عبقرية المكان، دار الهلال، القاهرة (د.ت).
11. حمدان، جمال: مختارات من شخصية مصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994م.
12. الحفني، عبدالمنعم: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي ط3، القاهرة 2000.

13. الحجي، حياة ناصر: أحوال العامة في حكم المماليك، جامعة الكويت، الكويت 1984.
14. الخضيري، زينب: فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت 1985.
15. ديفيز، بول: اسطورة المادة، ترجمة علي يوسف علي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة1988.
16. ديفيس، ب. ك: المكان والزمان في العالم الكوني الحديث، ترجمة أدهم السمان، مؤسسة الرسالة، بيروت1988.
17. ذياب، نصري: جغرافية الطاقة، الجنادرية للنشر والتوزيع، عمان 2011.
18. رشدي سعيد: نهر النيل، دار الهلال، القاهرة 1993.
19. رشدي، هند: علم الطاقة الروحية، دار مشارق، القاهرة 2009م.
20. عبيد، رؤوف: الانسان روح لا جسد، دار الفكر العربي، القاهرة1966.
21. ريدلي، مات: الجينوم، السيرة الذاتية للجنس البشري، ترجمة مصطفى إبراهيم فهمي ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عالم المعرفة العدد 275، نوفمبر 2001.
22. الزركلي، خير الدين : الأعلام، دار العلم للملايين ط5، بيروت 1980.
23. سعودي، محمد عبدالغني: قضايا أفريقية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عالم المعرفة العدد34، أكتوبر 1980.
24. سكوت، أندرية: جوهر الطبيعة، ترجمة: هاشم احمد محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة1988م.

25. سكينر، ب.ف: تكنولوجيا السلوك الإنساني، ترجمة عبدالقادر يوسف، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عالم المعرفة العدد 32، أغسطس 1980.
26. الشرجبي، عبدالباري: محاضرات في مبادئ الاقتصاد، دار الفكر، صنعاء 1996.
27. شريف، أمل: شفرة الكون، يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب، القاهرة (د.ت).
28. صبحي، احمد محمود: في فلسفة التاريخ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية 2004.
29. عاشور، سعيد: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة 1986.
30. ابن العماد، عبدالحي الدمشقي (ت1089ه): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).
31. عمر، معن خليل: معجم علم الاجتماع المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان 2000.
32. غارودي، روجيه: العولمة المزعومة، تعريب محمد السبيطلي، دار الشوكاني للنشر والتوزيع، صنعاء،1998.
33. غرين، برايان: الكون الأنيق، ترجمة فتح الله الشيخ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت2005.
34. فايز فوق العادة: الذاكرة الكونية، أكاديميا انترنشونال، بيروت1995.

35. فرانسيس مولاربيه، وجوزيف كولينز: صناعة الجوع ، خرافة الندرة ، ترجمة احمد إحسان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عالم المعرفة العدد 64، 1983.

36. فيبس، إي. دابليو. جي: زمان الجسم، كتاب فكرة الإنسان عبر التاريخ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عالم المعرفة العدد 159، ا مارس 1992.

37. قاسم، عبده قاسم: دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، عصر سلاطين المماليك، القاهرة 1983.

38. كاكو، ميشو وتيرنر، جينيفر: ما بعد اينشتاين، البحث العالمي عن نظرية للكون، ترجمة: فايز فوق العادة، اكاديميا انترناشيونال، بيروت 1991م.

39. كريستيانس، جيل: إسحاق نيوتن والثورة العلمية، تعريب: مروان البواب، مكتبة العبيكان، الرياض ط1 2005م.

40. كون، توماس: بنية الثورات العلمية، ترجمة شوقي جلال، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عالم المعرفة العدد 168، 1992.

41. لافون، روبرت: التاريخ، ترجمة نادية قباني، سلسلة قضايا الساعة، جنيف 1977.

42. لقمان، فاروق: البحث عن الغضب، صحيفة الأيام، العدد 3292 ، 2 أبريل 2001م.

43. ماير، ارنست، هذا هو علم البيولوجية، ترجمة عفيفي محمود عفيفي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عالم المعرفة، العدد 277، يناير 2002.

44. مجموعة من المؤلفين: الموسوعة العربية الميسرة ، مؤسسة دار الشعب، القاهرة 1965.
45. محمد، بدوي عبدالفتاح: فلسفة العلوم، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة2000.
46. محمد، يحيى: الداروينية، دار التعارف، بيروت 1979.
47. ميشيل يونج: دقات الساعة البيولوجية، مجلة العلوم، المجلد 16، العدد9، الكويت، سبتمبر 2005.
48. النجار، سعيد: تاريخ الفكر الاقتصادي، دار النهضة العربية، بيروت 1973.
49. نوكس، ريتشارد: الأرض السابحة في الفضاء، كتاب فكرة الزمان عبر التاريخ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عالم المعرفة العدد 159، مارس 1992.
50. هدارة، سيد رمضان: الكون ذرة وحركة، دار العلم، القاهرة 1964.
51. هوفمان، بانش: آينشتين، ترجمة نبيل صلاح الدين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1998م.
52. ويتلي، مارغريت: فن القيادة والعلم الحديث، اكتشاف الترتيب في عالم الفوضى، ترجمة سائر بصمة جي، دار علاء الدين، دمشق 2018م.
53. اليوسف، عبدالقادر أحمد: العصر الوسيط الأوروبي، المكتبة العصرية، بيروت 1967.

مراجع اجنبية :

1. Bradford, J., International Encyclopedia of Military History, London 2006.
2. Chalmers, David , The Conscious Mind: In Search of a Fundamental Theory. Philosophy of Mind Series. Oxford University Press, USA,1996.
3. Heilbron, J. L. The Dilemmas of an Upright Man: Max Planck and the Fortunes of German Science, Harvard, 2000.
4. Nicholls, D., Adolf Hitler: A Biographical Companion, Oxford 2000.

المؤلف:

أ.م. د/ محمد حسين محمد الصافي

أستاذ تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب والعصور الوسطى المشارك، قسم التاريخ والعلاقات الدولية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صنعاء.

ولد في الخليج الأمامي على بعد أمتار من شاطئ البحر بمدينة عدن. من أسرة آل الصافي المعروفة بالتجارة والعلم، جده الحبيب العلامة عبد الله بن حامد الصافي من كبار علماء اليمن في عصره، ووالده الأستاذ حسين الصافي الإعلامي المشهور أول مدير عام للإذاعة والتلفزيون ومؤسس التلفزيون بمدينة عدن. انتقل مع أسرته إلى مدينة صنعاء عام 1972م، ودرس بالمدرسة الأهلية ثم بمدرسة جمال عبد الناصر، وأدى خدمة الدفاع الوطني في اللواء الخامس مشاة السوادية، البيضاء. التحق بكلية الآداب جامعة صنعاء، وحصل على الماجستير عام 1998 والدكتوراه عام 2008م.

أنظم مع والده في العمل الحر أثناء دراسته الجامعية، وبعد وفاه والده أسس شركة صافوان للتجارة الحائزة على العديد من الوكالات التجارية العالمية، منها شركة AT&T الأمريكية وغيرها، كذلك أسس صافوان للأبحاث وأبحاث السوق، ثم تفرغ للعلم دراسة وتدريس منذ العام 2003م، قام بالتدريس في جامعة العلوم والتكنولوجيا منذ العام 1997م وفي جامعة صنعاء منذ العام 1999، وفي المعهد العالي للتوجيه والإرشاد العام 2013م. في عام 2002م تولى إدارة فرع دار المصطفى بصنعاء، عين عام 2003 مدرسا في قسم التاريخ كلية الآداب بجامعة صنعاء، ثم أستاذا مساعدا عام 2009م، وأستاذا مشاركا عام 2017م، ورائدا للشباب عام 2019م. أسس عام 2005م مركز الإبداع للدراسات وخدمة التراث فرع صنعاء. له العديد من المؤلفات العلمية والأنشطة الفكرية منها نظرية

النبض الكلي، وهي محاولة تفسير جديدة للتاريخ. كرم عام 2016 من قبل كلية الآداب والعلوم الإنسانية لجهوده العلمية والثقافية المتميزة. وكرم عام 2018م من قبل الاتحاد العربي للثقافة والإبداع ووزارة الثقافة جمعية المنشدين اليمنيين لجهوده في الحفاظ على التراث الإنشادي حاصلا على قلادة الاتحاد العربي للثقافة والإبداع.

التعليم:

- دكتوراه بامتياز في تاريخ العصور الوسطى، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب بعنوان: العلاقات التجارية بين الشرق والغرب عبر اليمن والبحر الأحمر في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي. جامعة صنعاء 2008.إشراف مشترك مع جامعة المنصورة.
- ماجستير بامتياز في تاريخ العصور الوسطى، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (حروب صليبية) بعنوان: دور ريمون الرابع كونت تولوز في الحرب الصليبية الأولى. جامعة صنعاء 1998م.
- بكالوريوس آداب - قسم تاريخ - مايو 1993م - جامعة صنعاء

يدرس المواد التالية:

- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى.
- تاريخ الدولة البيزنطية.
- تاريخ الحروب الصليبية.
- تاريخ الأيوبيين والمماليك.
- فلسفة التاريخ.
- تيارات فكرية معاصرة.

- تاريخ الرومان.
- في العلاقات بين أوروبا والمسلمين. (دراسات عليا).

الأعمال الإدارية:

- مساعد مدير مكتب الصافي للإعلانات 1982-1983. (وكلاء الخطوط الجوية اليمنية).
- مدير مكتب الصافي للإعلانات 1983-1988م.
- مدير عام صافوان للتجارة 1988م حتى 2003.
- مدير عام صافوان للأبحاث وأبحاث السوق 1989-2003م.
- مدير فرع دار المصطفى بصنعاء 2003-2005م.
- مدير مركز الإبداع الثقافي فرع صنعاء 2005- إلى الوقت الحاضر.
- عضو الهيئة العلمية الاستشارية لمجلة أبحاث الوسطية الشرعية. جامعة الوسطية الشرعية. حضرموت.

له العديد من الدراسات منها:

- انهيار الرأسمالية، الفوضى القادمة. كتاب نشر مكتبة مدبولي القاهرة 2004.
- علماء التزكية ودورهم العلمي والدعوي. المؤتمر العلمي الأول لكلية الآداب جامعة تعز 2009.
- قراءة في المناهج الغربية لتفسير التاريخ في القرن 19م. مجلة كلية الآداب، المجلد 34 العدد2 ابريل- يونيو 2013م.
- مدخل إلى المناهج الغربية لتفسير التاريخ في القرن العشرين. مجلة كلية الآداب، المجلد 34 العدد4 أكتوبر-ديسمبر 2013م.

- قراءة في مناهج التفسير النفسي للتاريخ. نشر في كتاب: دراسات في المنهج والفكر التاريخي، نشر مركز الإبداع للدراسات وخدمة التراث، صنعاء 2016م.
- مدرسة حضرموت العالمية، تناول تاريخي لدور حضرموت في التاريخ الإسلامي. قدم في ندوة الإمام الحداد، المكلا 2007.
- الصراعات الفكرية في عصر الأيوبيين والمماليك. قضية وحدة الوجود أنموذجا. مقبول للنشر، مجلة الباحث الجامعي، جامعة إب 10/ 6/ 2013م. نشر في كتاب: دراسات في المنهج والفكر التاريخي، نشر مركز الإبداع للدراسات وخدمة التراث، صنعاء 2016م.
- مناهج المعرفة ودراسة التاريخ. نشر في كتاب: دراسات في المنهج والفكر التاريخي، نشر مركز الإبداع للدراسات وخدمة التراث، صنعاء 2016م.
- وحدة اليمن عبر التاريخ2010. التوجيه المعنوي للقوات المسلحة.
- التوحيد والعقلانية في الفكر الأوروبي الوسيط. بتر ابيلارد أنموذجا. مقبول للنشر، مجلة الباحث الجامعي، جامعة إب 11/ 2013م
- تاريخ الحروب الصليبية على ضوء فلسفة التاريخ. مقبول للنشر في مجلة الباحث الجامعي، جامعة إب20/ 11/ 2013م. نشر في كتاب: دراسات في المنهج والفكر التاريخي، نشر مركز الإبداع للدراسات وخدمة التراث، صنعاء 2016م.
- نظرية النبض الكلي، البعد الطبيعي والفيزيائي لحركة التاريخ والنظرة الموحدة للكون والإنسان والتاريخ. نشر في كتاب: دراسات في المنهج والفكر التاريخي، نشر مركز الإبداع للدراسات وخدمة التراث، صنعاء 2016م.
- حيوية تاريخ الفكر الإسلامي، مع مقارنة بتاريخ الفكر الأوروبي، تحت النشر.

- دراسات في المنهج والفكر التاريخي، كتاب نشر مركز الإبداع للدراسات وخدمة التراث، صنعاء 2016م.
- نظرات مقارنة بين تاريخ الفكر الأوروبي وتاريخ الفكر الإسلامي. صنعاء 2022م. تحت النشر.
- كتاب: الناجحون، التنمية البشرية على ضوء السنة النبوية، تحت النشر.
- قراءة نقدية لمنهج وفكر المؤرخ هنري بيرن على ضوء كتابة تاريخ أوروبا في العصور الوسطى. بحث تحت النشر .
- أساسيات المناهج المعرفية لنظريات تفسير التاريخ، مجلة آداب الحديدة، كلية الآداب، جامعة الحديدة، العدد العاشر، يوليو، سبتمبر 2021م.
- صوفية اليمن، الفكر والواقع، منتدى مجال،2021م.
- منهجية قراءة التاريخ في ضوء فقه التحولات، المؤتمر العلمي الأول لجامعة الوسطية سيئون، حضرموت، 17/ 9/ 2022م.
- نقد للقراءات الحداثية للتراث والتاريخ الاسلامي، محمد عابد الجابري أنموذجا، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صنعاء، العدد45، يوليو سبتمبر 2020م.
- البحر الأحمر، الماضي، الحاضر، المستقبل، منتدى مجال،2022م.
- نظرية النسبية لإينشتاين والمنهج التاريخي، دورية كان التاريخية، السنة الخامسة عشرة، العدد السابع والخمسون،سبتمبر2022م .

المحاضرات العلمية والفكرية العامة التي ألقاها :

- البعد الفيزيائي والطبيعي في حركة التاريخ، فعاليات الأسبوع التاريخي، جمعية التاريخ والآثار، جامعة صنعاء2002م.
- التعليم المعاصر والتعليم النبوي (شبوة 2005).
- مدرسة حضرموت العالمية (المكلا2007).
- المنهج الأكاديمي ودراسة التاريخ الإسلامي(سيئون).
- في فقه التحولات، قراءات تاريخية (عدن2007).
- المناهج الغربية ودراسة السيرة النبوية (جامعة صنعاء 2009).
- انهيار الرأسمالية (جامعة صنعاء 2009).
- دور التصوف في التاريخ الإسلامي (مركز دال للدراسات – صنعاء 2008)
- الأزمة المالية العالمية، رؤية كلية (مركز منارات – صنعاء 2009).
- الإمام الغزالي ودوره في نهضة الأمة. (جامعة صنعاء2009).
- الحركة الإسلامية المعاصرة في تركيا. (جامعة صنعاء2010).
- قضية وحدة الوجود في الفكر الإسلامي. (الجمعية الفلسفية اليمنية 2011).
- التنمية البشرية والسنة النبوية. (جامعة صنعاء 21/ 1/ 2013م).
- مناهج التفسير النفسي للتاريخ. سمنار علمي في قسم التاريخ–جامعة صنعاء. (30/ 4/ 2013م).
- الحب في الفكر الإسلامي، مولانا جلال الدين الرومي أنموذجا. (جامعة صنعاء22/ 12/ 2015).
- روجيه جارودي، الفكر والإنسان. (جامعة صنعاء 3/ 5/ 2016م).
- الناجحون. (جامعة صنعاء 18/ 11/ 2018م).

- الفكر الأوروبي والفكر الإسلامي في العصور الوسطى، قراءة مقارنة، سيمنار علمي، قسم التاريخ، جامعة صنعاء2019م.
- نقد للقراءات الحداثية للتراث والتاريخ الإسلامي، الجابري أنموذجا، سيمنار علمي، قسم التاريخ، جامعة صنعاء 25 أكتوبر 2020م.
- النظرية النسبية لإينشتاين والمنهج التاريخي، سيمنار علمي، قسم التاريخ والعلاقات الدولية، جامعة صنعاء 24 نوفمبر 2021م.
- حيوية تاريخ الفكر الإسلامي، سيمنار علمي، قسم التاريخ والعلاقات الدولية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صنعاء، 27/ 2/ 2022م.
- المنهج الروحي للمعرفة، سيمنار علمي، قسم التاريخ والعلاقات الدولية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صنعاء، 11 / 10/ 2022م.

أشرف وشارك في تنفيذ الدراسات الاقتصادية والبيئية التالية :

- دراسة تسويقية للتحويلات الهاتفية لأسواق: (السعودية–الإمارات–البحرين–الكويت–باكستان–تونس).
- دراسة مستوى الوعي البيئي في اليمن.
- الدراسة الاقتصادية الاجتماعية التمهيدية لدراسات تغيرات المناخ في اليمن.
- دراسة أثر تغيرات المناخ في القطاع الزراعي.
- دراسة أثر تغيرات المناخ في قطاع الطاقة.
- سيناريو تغيرات المناخ في اليمن.
- دراسة سوق المياه المعدنية في اليمن.
- دراسة سوق غاز الفريون بصنعاء.

- دراسة سوق الأجبان في اليمن.
- دراسة جدوى اقتصادية لمشروع مدينة سكنية – عدن.
- دراسة جدوى اقتصادية لمشروع شاليهات – عدن.
- دراسة هندسية لمشروع مدينة سكنية – عدن.
- دراسة هندسية لمشروع شاليهات – عدن.
- تصور إعادة بناء وتأهيل مدينة عدن بعد الحرب (المؤتمر الشعبي العام).
- دراسة إدارة مجلة التجارة والاقتصاد – وزارة التجارة والتموين – 1989م.
- تصور متكامل لمشروع المؤتمر اليمني الأول للتجارة والاقتصاد 1991م.

الندوات التي شارك فيها أو في إدارتها :

- ندوة الاجتهاد في الفكر الإسلامي فرع دار المصطفى بصنعاء (2003م)
- ندوة يوم الأرض الفلسطيني، بيت الثقافة صنعاء (2003م).
- ندوة إحياء التراث الإسلامي _ جامعة صنعاء (2004).
- ندوة المادية المعاصرة ورقي الإسلام الروحي_ جامعة صنعاء 2006م.
- ندوة قصة إسلامي _ جامعة صنعاء 2005م.
- ندوة دور علم التزكية في العملية التعليمية. اتحاد الأدباء والكتاب 2006م.
- ندوة الخطاب الديني في الإعلام اليمني والعربي، اتحاد الأدباء 2006م.
- تريم عاصمة الثقافة الإسلامية. جامعة صنعاء2010.
- دور المنظمات غير الحكومية في العمل التكافلي. جمعية الإصلاح الخيرية، جامعة صنعاء،2012م.

- التنصير في العالم الإسلامي. جامعة صنعاء 30/ 1/ 2013م.
- التغريب. جامعة صنعاء3/ 12/ 2014م.
- الغزو الفكري في تاريخ المسلمين، عرض نموذج تاريخي، جامعة صنعاء 2017م.
- التصوف والصوفية بين الماضي والحاضر، نادي عبق الثقافي، صنعاء 21/ 11/ 2019م.
- الحبيب أبوبكر بن علي المشهور مؤرخا، في ندوة جامعة عدن: تراث الحبيب ابوبكر بن علي المشهور في 20 / 7 / 2023م.

فلسفته وفكره:

نظرية النبض الكلي: يقول الدكتور محمد بوجود طاقة كونية مظهرها قانون كلي عام هو قانون حركة النبض الكلي الحاكم للكون والتاريخ والإنسان. حركة نبض كلي لا يفلت منها شيء كبير أو صغير في هذا الوجود يأخذ شكل الدوران للإلكترون ويأخذ شكل ولادة النجوم وموتها، ويأخذ شكل قيام الحضارات وسقوطها. وهو نبض منتظم يترتب عنه حركة منتظمة ابتداء من انتظام سرعة الضوء وهو الأعجوبة الكبرى في هذا الكون، وانتهاء بانتظام سرعة دوران الأرض حول الشمس، في تناغم وانسجام مدهش. وهذا ليس تفسيرا آليا للكون والتاريخ. لكنه كون يتسم بالحياة والنبض وكل ما فيه يتسم بهذه الخاصية. نبض لكل مستويات الوجود، الوجود الذي هو عبارة عن مستويات متدرجة من الطاقة، بما فيها المادة التي هي شكل من أشكال الطاقة المحكومة بهذا النبض. وعلى ذلك فقيام الحضارات الإنسانية ما هو إلا تكتل لشكل من أشكال الطاقة، وانهيارها ما هو إلا تبدد هذه الطاقة لكن بحسب قانون النبض الكلي العام الحاكم للإنسان والكون والتاريخ. والدولة

هي تموضع للطاقة في هذه الحضارة. فالدولة هي اظهر شكل للطاقة الإنسانية في التاريخ. وبما أن ليس كل الدول في التاريخ هي دول خير وحضارة راقية وجمال، فهناك دول شر وتدمير وخراب وأنانية وسفك دماء. كذلك الطاقة ليس كلها طاقة ايجابية، بل هناك طاقة سلبية مدمرة. وإذا كانت حركة التاريخ في كثير من نواحيها هي حركة الصراع بين الخير والشر وبين الإيمان والكفر، فعلى ذلك فإن حركة التاريخ هي حركة الصراع بين الطاقة الايجابية البناءة والطاقة السلبية المدمرة. وهذا هو التوازن بين المتضادات الذي يقوم عليه هذا الكون الأعجوبة الرائعة للخالق البديع. فحركة النبض هي الحاكمة لحركة الجدل نفسها في صراع المتناقضات ونسيج الأضداد أي أن توازن الطاقة هو المبدأ الذي يقوم عليه نسيج الأضداد.[1]

كيف تولد الحضارات والدول: بحسب نظرية النبض الكلي والطاقة الكونية للتاريخ فإن ولادة الحضارات والدول تكون بولادة روح جديدة وطاقة جديدة وهو ما يتمثل في التقاء أربعة عوامل أساسية. أولا: في الانفجار السكاني. فقيام الحضارات والدول كان روحه ومظهره والملازم له هو الانفجار السكاني. ولم نشاهد ولادة حضارة أو دولة وهي تعاني من نقص عدد السكان. وأسباب الانفجار السكاني ثلاثة: توفر الغذاء يؤدي إلى انفجارا سكانيا. وعاملا آخر يساهم في حدوث الانفجار السكاني هو الإحساس بالتحدي الذي تشعر به جماعة ما أو شعب ما، فتكون ردة الفعل في التكاثر. وفي هذه الجزئية تتوافق هذه النظرية مع نظرية التحدي والاستجابة لتوينبي. والسبب الثالث هو الدورة الطبيعية للتكاثر السكاني بين العلو والانخفاض، والتي تخضع لها تقريبا كل الكائنات ضمن حركة النبض الكلي.

(1) الصافي: دراسات في المنهج والفكر،74 وما بعدها.

والعامل الثاني في قيام الحضارة هو وجود وتوفر طاقة القوة الاقتصادية والمالية، فكثير من الحضارات والدول قامت بسبب وجودها على طرق التجارة الدولية مما وفر لها قوة طاقة المال والاقتصاد. وهذا العامل يرتبط بعامل الانفجار السكاني، حيث يكون وفرة المال وقوة الاقتصاد عاملا في توفير الغذاء.

اما العامل الثالث: فهو قيام قوة عسكرية ذات امكانات قوية، تستطيع فرض وجود الحضارة وحمايتها من الاخطار الخارجية والداخلية. وهي التي عبر عنها ابن خلدون بقوة العصبية.

وكل هذا تمثله الآيات الكريمة:" وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (6)". الاسراء. وقوله تعالى:" أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (133) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (134)". الشعراء.

والعامل الرابع ظهور زعامة وقيادة قوية تستطيع توحيد الجماعة وتقودها لتأسيس الدولة والحضارة.

فإذا كانت هذه عوامل وأسباب ولادة الحضارات والدول فإن موت الحضارة والدولة بفقدان هذه العوامل الأربعة، أو واحد منها، مثل فقدان الأهمية الاقتصادية والقوة المالية للدولة، أو تناقص عدد السكان بشكل كبير، أو ضعف ووهن القوة العسكرية مما يؤدي إلى تعرضها للغزو والتدمير. أو سقوطها في صراعات داخلية مدمرة يعرضها للتمزق نتيجة فقدان القيادة الموحدة للجماعة.

الحضارة= انفجار سكاني+ قوة المال والاقتصاد+ قوة عسكرية+ شخصية قيادية.

الحضارة (طاقة كبيرة) = انفجار سكاني (رافد من الطاقة) + قوة المال والاقتصاد (رافد من الطاقة) + قوة عسكرية (رافد من الطاقة) + شخصية قيادية (رافد من الطاقة).

تأخذ هذه النظرية في اعتبارها التفسيرات الفيزيائية الحديثة للكون وللعالم وللوجود، فالتفسير الفيزيائي للكون والتاريخ أن الكون عبارة عن منظومة كهربائية (منظومة من

الطاقة) تتحرك وتسير عبر التضاد المتوازن، فالتدافع والتضاد المسيطر عليه من قوة أعلى طبيعة أساسية في الكون وفي التاريخ. إن هذا الكون بكل ما فيه ليس سوى موسيقى بديعة للخالق العظيم. وإن التنوع والاختلاف هو جزء أساسي من هذه الموسيقى والمعزوفة الكونية الرائعة. وما بين التفرد والتجانس وبين الوحدة والتنوع واختلاف الترددات والاهتزازات تنطلق العلاقة المعقدة بين الكون والتاريخ. وبين الوجود الحي أو الطاقة الفاعلة وبين الإنسان الحر المسئول، في علاقة تفاعلية متبادلة نتج عنها تراث التاريخ الإنساني الهائل بكل ما فيه من جوانب ايجابية أو سلبية.

ولابد من الإشارة إلى أن هذه النظرية ليست تفسير مادي للتاريخ بل كشف عن طبيعة حركة التاريخ ذو النبض الكلي الذي لا يصدر إلا من حي قيوم يهب الحياة والقيومية لكل ما في الوجود في كل حين وثانية. ضمن قانون انسجام وتوازن كلي بديع للكون كله.

حيوية الحضارة الإسلامية: ينتقد الدكتور محمد قراءة محمد عابد الجابري وأمثاله للتاريخ والحضارة الإسلامية ويرفض الاستخدام المشوه والناقص للمنهج البنيوي في دراسة الحضارة والفكر الإسلامي الذي اتبعه محمد عابد الجابري ومحمد أركون، حيث استخدم هذا المنهج لهدم التراث العربي وتشويهه والحط من شأنه. وقدم صورة مغلوطة لحقيقة وروح التاريخ والتراث العربي والإسلامي، وذلك بهدف إحلال الفكر الأوروبي الوضعي بدلا عن الفكر الإسلامي المرتبط بالرسالة السماوية.

يقول الدكتور محمد: قامت الحضارة الإسلامية العظيمة والتي لم تر البشرية مثيل لها ثمرة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم سواء بالكتاب أو السنة. وحكمت سنة التدافع والتضاد التاريخ السياسي والحضاري للمسلمين، حيث تداولت المذاهب الإسلامية في الحكم والدول. والحقيقة أن اختلاف البشر من سنن الحياة والكون والطبيعة، وعظمة الإسلام هو في قبوله للسنن الإلهية واحتوائه لها. سواء هذا في الحياة السياسية أو في غيرها

من الميادين. كانت الأوضاع التاريخية المتتابعة عاملاً مهماً في ظهور العلوم الإسلامية المختلفة، فكانت الفتنة والاختلاف والتغيرات دافعا للحفاظ على أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتمييز الصحيح من الموضوع، وكانت حاجة المجتمع المسلم المتغيرة دافعاً لظهور علم الفقه والمذاهب الفقهية في ظل الاختلاف حول النصوص ظنية الدلالة أو النصوص ظنية الثبوت. وكان طغيان المادية وحب الدنيا واختفاء مظاهر السنة دافعاً لظهور علم التصوف وطرق التربية الروحية، كما كان تحدي الفكر المسيحي والفكر الهندي واختلاف المسلمين في قضايا الإمامة والقضاء والقدر والصفات دافعاً لظهور علم الكلام ومدارسه الفكرية المختلفة.

هكذا إذن كانت حيوية الفكر الإسلامي تحكمه حركة التضاد والتدافع، فرفضاً للفتنة ونتائجها ظهر الخوارج الذين كفروا الإمام علي ومعاوية معاً، وقالوا بكفر مرتكب الكبيرة، ورفضاً للخوارج ظهر المرجئة الذين قالوا لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، ورفضاً للمرجئة ظهر المعتزلة الذين قالوا مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين، ورفضا للمعتزلة ظهر الحنابلة ورفضاً للحنابلة ظهر الأشاعرة ورفضا للأشاعرة ظهر فكر ابن تيمية الذي لم يشهد من وجود تاريخي سوى في العصر الحديث، مما سبب في بروز الفكر الاثنا عشري لكن المتجدد في نظرية ولاية الفقيه للإمام الخميني بعد سقوط خلافة أهل السنة. واستمرت جميع هذه المدارس في الوجود وحركة التدافع الذي ساعدتها على التنافس والمجاهدة ضد الخصوم وإبراز أفضل ما لديها، بل إن هذه الفرق تطورت نتيجة التضاد والتنافس فيما بينها، وفي الفقه ردا على مدرسة الرأي لأبي حنيفة ظهرت مدرسة النص لمالك، ثم مدرسة التوفيق بينهما للشافعي، وفي الدعوة والسلوك رفضا للخروج على السنة والترف ظهر التصوف بمدارسه المختلفة. وفي السياسة رفضا لدولة بني أمية المناصبة العداء لآل البيت ظهر التشيع بمذاهبه المختلفة. كذلك بظهور الرازي بما يمثله من عقلانية

وعلم الكلام ظهر مولانا جلال الدين الرومي بما يمثله من روحانية وعشق إلهي رفضاً للعقلانية الجامدة، وبظهور ابن عربي بما يمثله من فكر مثالي مغرق في المثالية ظهر ابن تيمية بما يمثله من فكر تجسيمي نسب إليه وتبرأ هو منه واسماه إثبات الصفات.

طبيعة حركة التاريخ الإسلامي هذه تدافعية وليس على منهج هيجل في الجدل، إذ لا نفي فيها، بل جميع المدارس والفرق لا زالت حتى اليوم تتواجد ولو بأحجام مختلفة استمراراً لطبيعة التنوع والتعدد في الخلق البشري. ويتميز هذا التاريخ الإيماني باستمرار ظهور المجددين فيه.

وبحسب الدكتور الصافي تعاني الأمة اليوم تزييف الوعي في كل العلوم الإسلامية تقريبا. فعلم القران مستهدف بالتفسير المنحرف له المضاد للنص الصريح وللسنة، والحديث مستهدف بالدعوة بالاكتفاء بالقران الكريم والطعن والحط والتشكيك في الحديث النبوي وهو شارح ومطبق ومفسر للقران الكريم والمصدر الثاني للتشريع، كذلك مستهدف من خلال الأخذ منه بغير فقه فيحرف المعنى إلى غير المقصود منه. وعلم الفقه مستهدف من خلال الدعوة إلى إلغاء المذاهب الإسلامية بحجة أنها فرقت بين المسلمين بينما هي مناهج استنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة، والمشكلة في التعصب لها وليس فيها، وعلم التصوف استهدف بحجة انه شركيات ودروشة وتكاسل وخمول بينما هو علم التزكية والتربية والسلوك وكل ما يخالف الشريعة ليس من التصوف والأمة اليوم بأمس الحاجة للنهضة الروحية. واستهدف علم الكلام بحجة انه سفسطة وجدل لا طائل منه في قضايا لا تهم المسلم بينما هو علم الدفاع عن الإسلام والإيمان والنبوة من خلال الأدلة العقلية وعلم المنطق وهو مهم في مواجهة الغزو الفكري ومواجهة عقول كبيرة تدعو للإلحاد. واستهدفت اللغة العربية بحجة أنها لا تواكب العصر فالإنجليزية هي لغة العصر ولغة العلم والمال والأعمال، بينما اللغة العربية هي وعاء الفكر ومنهجه وأثاره ولغة

الحضارة الإسلامية وعلومها ولغة القران الكريم، بينما اللغة الانجليزية مجرد علم آلة ليس مقصود لذاته.

رأيه في التفسير الإسلامي للتاريخ: يشير الصافي إلى أن المنهج الإسلامي للتاريخ منهج كوني شامل لدراسة التاريخ تفتقد إليه كل المناهج المعاصرة، حيث يبدأ من خلق السماوات والأرض ويتضمن ربط حركة التاريخ الإنساني والفعل الإنساني بالبعد الطبيعي والبعد الغيبي، فأحداث الطبيعة ليست مجرد مصادفات خبط عشواء لا علاقة لها بسلوك وفعل الإنسان. كما أن المناهج الأخرى لا تدرس أو تؤمن بأي تدخل لقوى الغيب في الأحداث التاريخية. هذا المنهج عند تحليله ودراسته للحدث التاريخي، يأخذ بكافة العوامل الصانعة لهذا الحدث ومنها العامل الغيبي أو تدخل قوى الغيب للمساهمة في صنع الحدث التاريخي،

كما يعلمنا الإخبار القرآني والنبوي للتاريخ بأهمية العامل الفيزيائي والطبيعي. فالبيئة الفيزيائية والطبيعية المحيطة بالإنسان تتأثر وتتفاعل مع فعل الإنسان، إن كان خيراً بخير أو شراً بشر. فالكفر والإفساد يؤدي إلى غضب الطبيعة بأمر ربها. والإيمان والإصلاح يؤدي إلى عطاء الطبيعة وخدمتها للمؤمن كما في حديث السحابة التي تسقي زرع المؤمن المتصدق [1]. وقوله عز وجل: " ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض". (الأعراف 96).[2]

على أن الرؤية الإسلامية توضح أن التاريخ الإنساني تاريخان: تاريخ أبوي وتاريخ انوي، فالتاريخ الأبوي هو تاريخ أبونا ادم وأبونا إبراهيم عليهم السلام أي تاريخ الأنبياء والرسل والصالحين المجددين وقصة الصراع بين الإيمان والكفر والخير والشر. وتاريخ

(1) صحيح مسلم، رقم7664؛ صحيح ابن حبان، رقم 3355.

(2) الصافي: دراسات في المنهج والفكر،267 وما بعدها.

انوي ينطلق من قول الإنسان كما قال الشيطان أنا خير منه[1]. وهو تاريخ الصراع على الدنيا والسلطة والمال والنفوذ، وكل تاريخ الحروب والصراع العبثي مثل حروب نابليون أو الحرب العالمية، فهو تاريخ ولكن تاريخ انوي ونحن ندرسه لأخذ الفائدة.

انهيار الرأسمالية: في كتابه انهيار الرأسمالية، الفوضى القادمة، قدم الدكتور الصافي رؤيته في مستقبل الحضارة الغربية الرأسمالية من الناحية التاريخية والاقتصادية. مبينا أن خلل الدورة المالية في المجتمع هو العامل الأساس في سقوط النظام البنكي المالي وبالتالي في سقوط الحضارة الغربية برمتها. إضافة إلى انتهاء عمرها التاريخي والحضاري[2].

كذلك ينتقد الدكتور محمد المنهج الأكاديمي وبالأخص المنهج التاريخي حيث يعتقد أنه مصاب بعدة عيوب منها:

1- لا يوجد فيه منهجية محددة في الفصل بين الذات والموضوع. أو بين ذاتية الباحث والموضوع الذي يبحث فيه. ففي كثير من الأحيان يسقط الباحث ذاته في الموضوع حتى بمجرد إضافة أو اختيار مصطلحات معينة. ومن الصعب طبعا منع الذاتية في الكتابة العلمية لأن الذات العارفة جزء من معادلة فهم الحدث. لكن توضيح الفرق بين ذاتية الباحث والموضوع مهم حتى لا يلبس على القارئ. والمقصود هنا أنه لا توجد آلية محددة تفرض على الباحث اتباعها ومراقبة عمله بوعي في عدم الخلط بين الذات والموضوع.
2- غلبة النظرة السلبية في تقييم الأبحاث حتى أصبح النقد فقط النظر للسلبيات. وليس النقد بمفهومه الشامل. وهو الكشف عن الإيجابيات والبحث عنها.

(1) المشهور، ابوبكر بن علي: إحياء لغة الإسلام العالمية، أربطة التربية الإسلامية، عدن، 200م، ص6.
(2) الصافي، محمد حسين: انهيار الرأسمالية، الفوضى القادمة، مكتبة مدبولي، القاهرة 2004م.

3- اصبحت الأبحاث مجرد جمع مفرق لا يظهر فيه بوضوح منهجي محدد ما هي إضافة الباحث. بمعنى كما يحيل الباحث ما أخذه عن غيره في الحاشية عليه ان يحيل الى نفسه حتى تتحدد بالضبط ما هي إضافاته.

4- كذلك عدم الالتزام بمنهجية الخروج من الجزئيات الى الكليات والكشف عن قوانين جديدة أو سنن او تأكيدها. بسبب عدم القدرة او اهمال او تجاهل المنهج الاستقرائي.

يحاول هذا الكتاب الصغير الإجابة على سؤال ماهي العلاقة بين الكون الفيزيائي وحركة التاريخ الإنساني؟ متبعا في ذلك المنهج الاستقرائي ومحاولة الوصول إلى تفسير لحركة التاريخ في ضوء أحدث النظريات الفيزيائية المفسرة للكون. مستفيدا من أهم الاكتشافات العلمية حول فهم الكون والعالم الطبيعي. والتي دلت على ان هذا الكون هو شكل من اشكال الطاقة المتعددة الظهور والاشكال. وبالتالي فإن حركة التاريخ- التي هي فعل النشاط الانساني- ما هي إلا سياق حركي للطاقة سواء في صعود الحضارات او سقوطها ضمن النشاط الطاقي للكون.

وبدا لنا واضحا في هذا البحث الانسجام والتناغم الكامل بين الكون والإنسان، وثبت تأثير العامل الطبيعي والفيزيائي في حركة التاريخ كطاقة متعددة الاشكال والظهور. وتبين لنا بما لا يدع مجالا للشك أن الإنسان هو جزء لا يتجزأ من هذا الكون البديع، بدءا من الحركة النبضية للإلكترون والفوتون وحتى السلسلة الغذائية للمخلوقات التي تعتمد أساسا على المنظومة الضوئية. وكشفت الدراسة عن جود قانون كلي عام هو قانون حركة النبض الكلي الحاكم للكون والتاريخ والإنسان. حركة نبض كلي لا يفلت منها شيء كبير أو صغير في هذا الوجود يأخذ شكل الاهتزاز والدوران للإلكترون ويأخذ شكل ولادة النجوم وموتها، ويأخذ شكل قيام الحضارات وسقوطها.